

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ (١) فِي سَنَةِ حَمَسٍ، وَقَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حدَّثنا أبو محمد (١/١٩٢) عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقِ الْمُطَّلِبِيِّ، قَالَ:

(١) وَتُسَمَّى غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ، وَهِيَ الْغَزْوَةُ الَّتِي ابْتَلَى اللَّهُ فِيهَا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَعَثَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ، وَأَظْهَرَ مَا كَانَ يُبْطِئُهُ أَهْلُ النِّفَاقِ، وَفَضَّحَهُمْ وَفَرَّعَهُمْ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصْرَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحَدَّهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَرَدَّ الْكُفْرَةَ بِغَيْظِهِمْ، وَوَفَّى الْمُؤْمِنِينَ شَرَّ كَيْدِهِمْ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِمْ شَرْعاً وَقَدراً أَنْ يَغْزُوا الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَهَا، بَلْ جَعَلَهُمُ الْمُغْلُوبِينَ، وَجَعَلَ جِزْيَةَ هُمُ الْغَالِبِينَ.

وَسُمِّيَ أَنْ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَسَارُوا إِلَى خَيْبَرَ، وَبِهَا مِنْ يَهُودٍ قَوْمٌ أَهْلُ عَدَدٍ وَجَلْدٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْبَيْوتِ وَالْأَحْسَابِ مَا لِبَنِي النَّضِيرِ، فَخَرَجَ حُبَيْبُ بْنُ أَخْطَبٍ وَكِنَانَةُ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ وَهَوْدَةَ - بَفَتْحِ الْهَاءِ وَبِالذَّلِ الْمَعْجَمَةِ - ابْنَ قَيْسِ الْوَائِلِيِّ، وَأَبُو عَامِرِ الْفَاسِقِ، فِي جَمَاعَةٍ سِوَاهُمْ، إِلَى مَكَّةَ فَدَعَوْا قَرِيظاً وَأَتْبَاعَهَا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ، فَقَالُوا لِقَرِيظٍ: نَحْنُ مَعَكُمْ حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا، جِئْنَا لِنُحَالَفَكُمْ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَقِتَالِهِ، وَنَشِطُ قَرِيظَ لَذَلِكَ، وَتَذَكُرُوا أَحْقَادَهُمْ بِيَدِي، فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْنَا مَنْ أَعَانَنَا عَلَى عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ. وَأَخْرَجَ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَطُونِ قَرِيظٍ كُلِّهَا، وَتَحَالَفُوا وَتَعَاقدُوا وَأَلْصَقُوا أَكْبَادَهُمْ بِالْكُفْبَةِ، وَهُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَسْتَارِهَا، لَا يَخْذُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَلِتَكُونَ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً عَلَى مُحَمَّدٍ، مَا بَقِيَ مِنْهُمْ رَجُلٌ.

وَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ، أَنْتُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْجِلْمِ، أَخْبَرُونَا عَمَّا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ: أَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ فَنَحْنُ عُمَارُ الْبَيْتِ، نُنْحَرُ الْكُومَ، وَنُسْقِي الْحَجِيجَ، وَنَعْبُدُ الْأَصْنَامَ. فَقَالَتْ يَهُودٌ: اللَّهُمَّ أَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ؛ إِنَّكُمْ لَتُعْظَمُونَ هَذَا الْبَيْتَ، وَتَقُومُونَ عَلَى السَّقَايَةِ، وَتُنْحَرُونَ الْبُذْنَ، وَتَعْبُدُونَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْثَقُوا بِعَبِيدِكُمْ أَكْثَرًا مِنَ الْكُفْرَةِ يَأْتُونَ بِالْحَيِّتِ وَالطَّلَعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا أَهْدَىٰ مِنْ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْمِ اللَّهَ فَلَنْ نَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَالِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاءَتْهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النساء من ٥٠ : ٥٤].

فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقَرِيظٍ سَرَّهُمْ، وَنَشِطُوا إِلَى مَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّعَدُوا لَذَلِكَ وَقَفَا أَقْتَرَهُ.

ثُمَّ خَرَجَتْ يَهُودٌ إِلَى عَطْفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَمْرٍ: وَجَعَلُوا لَهُمْ ثَمَرَ خَيْبَرَ سَنَةً، إِنْ هُمْ نَصَرُوهُمْ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّ قَرِيظاً قَدْ تَابَعَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ.

ثُمَّ خَرَجَتْ يَهُودٌ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ فَوَعَدُوهُمْ الْمَسِيرَ مَعَهُمْ إِذَا خَرَجَتْ قَرِيظٌ. يَنْظُرُ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٤/٣٦٣ - ٣٦٤).

اليهود تحرض قريشاً وتعدها المعونة

ثم كانت غزوة الخندق، في شوال سنة خمس^(١) [٧٠٦]، فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير، عن عروة بن الزبير، ومن لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك، ومحمد بن كعب القرظي، والزهرري وعاصم بن عمرو بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا، كل قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا

[٧٠٦] انظر تاريخ الطبري (٢/٩٠، ٩٨) والمغازي للواقدي (٢/٤٤٠)، وطبقات ابن سعد (٢/٥٠، ٥٧)، والكامل لابن الأثير (٢/٧٠، ٧٤) وتاريخ الإسلام للذهبي (ص ٢٨٣ - كتاب المغازي)، والمنظوم لابن الجوزي (٣/٢٢٧) وأنساب الأشراف (١/١٦٥)، وصحيح البخاري (٧/٤٥٣) - كتاب المغازي (٦٤) - باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (٢٩) - ومسلم في صحيحه (٤/١٧١) - كتاب الجهاد والسير - وباب غزوة الأحزاب وهي الخندق - وأنساب الأشراف (١/١٦٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (٢/٩٤)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/٣٩٢) وسبل الهدى والرشاد للصالحي بتحقيقنا (٤/٣٦٣).

(١) كانت غزوة الخندق - كما قال ابن إسحاق ومتابعوه - في شوال. وقال محمد بن عمرو وابن سعد: في ذي القعدة. وقال الجمهور: سنة خمس. قال الذهبي: هو المقطوع به، وقال ابن القيم: إنه الأصح، وقال الحافظ: هو المعتمد. وروى ابن عقبة عن الزهرري والإمام أحمد عن الإمام مالك: أنها كانت سنة أربع، وصححه النووي في الروضة. قالوا: وهو عجيب؛ لأنه صحح أن قريظة كانت في الخامسة، وكانت عقب الخندق، ومال البخاري إلى قول الزهرري، وقواه بما رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه عرض على رسول الله ﷺ يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، فلم يُجزئه، ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه، فيكون بينهما سنة واحدة. وكان سنة ثلاث؛ فيكون الخندق سنة أربع.

قال الحافظ وغيره: ولا حجة إذا ثبت أنها كانت سنة خمس؛ لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشرة، وكان في الأحزاب قد استكمل الخمسة عشرة. وبهذا أجاب البيهقي.

ويؤيده قول ابن إسحاق: إن أبا سفيان قال للمسلمين لما رجع من أحد: موعدكم العام المقبل بدر. فخرج رسول الله ﷺ من السنة المقبلة إلى بدر، وتأخر مجيء أبي سفيان تلك السنة للجدب الذي كان حينئذ. كما تقدم بيان ذلك. ووافق ابن إسحاق على ذلك غيره من أهل المغازي.

وقد بين البيهقي رحمه الله تعالى سبب هذا الاختلاف؛ وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة، ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، وعلى ذلك جرى الحافظ يعقوب بن سفيان في تاريخه، فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى، وأن غزوة أحد كانت في الثانية، وأن الخندق كانت في الرابعة، وهذا عمل صحيح على ذلك البناء، لكنه بناء وإه مخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة، وعلى ذلك تكون بدر في الثانية، وأحد في الثالثة، والخندق في الخامسة وهو المعتمد. ينظر سبل الرشاد (٤/٣٩٦ - ٣٩٧).

يحدث به بعض، قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفرأ من اليهود - منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيي بن أخطب النضري، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، وهزدة بن قيس الوائلي، وأبو عمارة الوائلي، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ: حرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد، أفديتينا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه؛ فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾...﴾^(١) إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [أي: النبوة]؛ ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِمَهْمٍ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥١ - ٥٥] قال: فلما قالوا ذلك لقريش، سرههم ونشطوا لما دعوهم إليه من حزب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك وأعدوا له.

اليهود تحرض غطفان أيضاً وتذكر لها اتفاقهم مع قريش

ثم حرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حزب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك؛ فاجتمعوا معهم فيه.

خروج المشركين وأسماء قوادهم

قال ابن إسحاق: فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني قزارة، والحرث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة، ومسعر بن زخيلة^(٢) بن ثويرة بن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع.

(١) قال الشيخ الفقيه أبو ذر رضي الله عنه: الجبث والطاغوت كل ما يعبد من دون الله تعالى، وقال بفضهم: الجبث: الكاهن. وقيل: هو الساجر. والطاغوت: الجبار. وقال الفراء: الجبث: حيي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف.

(٢) «مسعر بن زخيلة»: هكذا وقع هنا، ووقع أيضاً «زخيلة» بالجيم والخاء المعجمة، وزخيلة بالخاء المعجمة والراء المضمومة. قيده الدارقطني. وفي نسب مسعر هو ابن خلاوة بن أشجع. كذا وقع هنا بالخاء المعجمة مضمومة ومفتوحة وبالهاء المهملة كذلك، وبالخاء المعجمة هو الجيد، هكذا قال الشيخ أبو ذر الخشني في «الإملاء المختصر».

حفر الخندق

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وما أجمعوا له مِنَ الأَمْرِ، ضَرَبَ الخَنْدَقَ على المدينة؛ فَعَمِلَ فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأَجْرِ، وَعَمِلَ معه المسلمون فيه؛ فَدَأَبَ فيه ودَأَبُوا، وَأَبْطَأَ عَنِ رسول الله ﷺ وَعَنِ المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين، وجعلوا يُوزُونَ^(١) بالضعيف من العمل (١٩٢/ب)، وَيَتَسَلَّلُونَ إلى أهلهم بِغَيْرِ عِلْمٍ من رسول الله ﷺ ولا إِذْنٍ، وَجَعَلَ الرجلُ من المسلمين إذا نابته النَّائِبَةُ من الحاجة التي لا بُدَّ منها يَذْكُرُ ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذِنُ في اللُّحُوقِ لحاجته، فيأذُنُ له، فإذا قَضَى حاجته رجع إلى ما كان فيه مِنْ عمله؛ رغبةً في الخير احتساباً له؛ فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]؛ فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهلِ الحِنبَةِ والرَّغْبَةِ في الخير والطاعة لله ولرسوله ﷺ ثم قال تعالى: يعني المنافقين الذين كانوا يَتَسَلَّلُونَ مِنْ العَمَلِ وَيَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ من النبي ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذَى فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

تفسير اللواذ

قال ابن هشام: اللُّوَادُ: الاستتار بالشيء عند الهرب؛ قال حسان بن ثابت [من الخفيف]:

وَقُرَيْشٌ تَفِرُّ مِثْلَ لَوَاذٍ أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَ مِنْهَا الحُلُومُ^(٢)
وهذا البيت في قصيدة له قد ذكرتها في أشعار يوم أحد.

﴿أَلَا إِنَّكَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ﴾ قال ابن إسحاق: مِنْ صِدْقٍ أو كَذِبٍ، ﴿وَيَوْمَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٤].

المسلمون يرتجزون والرسول يجيبهم ببعض ما يقولون

قال ابن إسحاق: وعمل المسلمون فيه حتى أَحْكَمُوهُ، وارتجزوا فيه برجلٍ من المسلمين يقال له: جُعَيْلٌ، سَمَاهُ رسول الله ﷺ: عَمْرَأَ، فقالوا [من الرجز]:

(١) جعلوا يُوزُونَ، معناه: يَسْتَرُونَ.

(٢) ينظر ديوانه ص (٩٢)، وفيه «تلوذ» بدل «تفر»، «لم» بدل «أن».

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا^(١)
 فإذا مَرُوا بِعَمْرٍو قال رسول الله ﷺ: «عَمْرًا»، وإذا مَرُوا بِظَهْرٍ: قال رسول الله ﷺ:
 «ظَهْرًا» [٧٠٧].

ما ظهر لرسول الله من الآيات في حفر الخندق

قال ابن إسحاق: وكان في حفر الخندق أحاديثُ بَلَعْتَنِي من الله تعالى فيها عبرةٌ في تصديقِ رسول الله ﷺ وتحقيقِ نبوته، عَايَنَ ذلك المسلمونَ، فكانَ فيما بلغني أن جابر بن عبد الله كان يحدثُ أنه اشْتَدَّتْ عليهم في بعضِ الحَنْدَقِ كُذْبَةٌ فَسَكَوْهَا إلى رسول الله ﷺ فدعا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَمَلَّ فِيهِ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به، ثم نَضَحَ ذلك الماءَ على تلك الكُذْبِيَّةِ، فيقولُ مَنْ حضرها: فوالذي بعثه بالحقِّ نبياً لَأَنْهَأَلْتُ حَتَّى عَادَتْ كَالْكَيْبِ، لَأُتْرَدُ فَأَسَأَ وَلَا مَسْحَاةَ [٧٠٨].

قال ابن إسحاق: وحدثني سعيد بن ميناء أنه حَدَّثَ أن ابنةَ لَيْسِيْرِ بْنِ سَعْدِ أَخْتِ النعمانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَتْ: دَعَيْتَنِي أُمِّي عَمْرَةَ بِنْتُ رَوَاحَةَ، فأعطتني حَفَنَةً من تمر في ثوبي، ثم قالت: أَيُّ بُنْيَةٍ، أَذْهَبِي إِلَى أَبِيكَ وَخَالِكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بَعْدَئِهِمَا، قالت: فأخذتها، فانطلقتُ بها، فمررت برسول الله ﷺ وأنا التمسُ أَبِي وَخَالِي، فقال: «تَعَالِي يَا بُنْيَةَ، مَا هَذَا مَعَكَ؟» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا تَمْرٌ بَعَثْتَنِي بِهِ أُمِّي إِلَى أَبِي بَشِيرِ بْنِ سَعْدِ وَخَالِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَتَعَدَّيَانِيهِ، قال: «هَاتِيهِ» قَالَتْ: فَصَبَبْتُهُ فِي (١٩٣/أ) كَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَا مَلَأْتُهُمَا، ثُمَّ أَمَرَ بِثَوْبٍ فَبَسِطَ لَهُ، ثُمَّ دَحَا بِالتَّمْرِ عَلَيْهِ فَتَبَدَّدَ فَوْقَ الثَّوْبِ، ثُمَّ قَالَ لِإِنْسَانٍ عِنْدَهُ: «أَصْرُخْ فِي أَهْلِ الحَنْدَقِ أَنْ هَلُمَّ إِلَى العَدَاءِ!» فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الحَنْدَقِ عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَجَعَلَ يَزِيدُ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الحَنْدَقِ عَنْهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْقُطُ مِنْ أَطْرَافِ الثَّوْبِ [٧٠٩].

[٧٠٧] أخرجه الطبري في تاريخه (٥٦٥/٢ - ٥٦٧) والبيهقي في الدلائل (٤٠٨/٣) وأورده ابن كثير في البداية (١٠٦/٤ - ١٠٧) كلهم عن ابن إسحاق به مرسلًا.

[٧٠٨] أخرجه البيهقي في الدلائل (٤١٥/٣) وأورده ابن كثير في البداية (١١١/٤) كلاهما عن ابن إسحاق بلاغًا.

وأخرجه البخاري في صحيحه (١٤٣/٨ - ١٤٤) - كتاب المغازي (٦٤) - باب (٣٠) - رقم (٤١٠١) وأحمد في مسنده (٣٠٠/٣) مختصرًا.

[٧٠٩] أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٢٧/٣)، وأبو نعيم في دلائله (٤٩٩/٢ - ٥٠٠) (٤٣١)، وأورده ابن

(١) البائس: هو الفقير، والظهُر: القوة والمعونة، والضميرُ المستترُ في قوله سَمَاهُ، وفي كانَ، راجعٌ إلى النبي عليه السلام. والتقدير: وكان النبي عليه السلام. وينظر البداية والنهاية (١٠٩/٤)، وتاريخ الطبري (٥٦٧/٢).

قال ابن إسحاق: وحديثني سعيد بن ميناء، عن جابر بن عبد الله، قال: عمِلْنَا مع رسول الله ﷺ في الخندق، فَكَانَتْ عِنْدِي شَوْهَةً غَيْرُ جِدِّ سَمِينَةٍ، قال: فقلت: واللّه لو صنعناها لرسول الله ﷺ قال: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فطَحَنَتْ لَنَا شَيْئاً من شعير فَصَنَعَتْ لَنَا منه خبزاً وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ؛ فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فلما أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الانصرافَ عَنِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارَنَا، فإذا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهَالِينَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شَوْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئاً من خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأَحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَخِذْهُ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ قَالَ: «نَعَمْ» ثُمَّ أَمَرَ صَارِحاً فَصَرَخَ أَنْ أَنْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَلَ النَّاسَ مَعَهُ، قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ، قَالَ: فَبَرَكْتُ وَسَمَى اللَّهُ ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ كُلُّمَّا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا [٧١٠].

قال ابن إسحاق: وحديثُ عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أَنَّهُ قَالَ: ضَرَبْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنَ الْخَنْدَقِ، فَغَلَطْتُ عَلَيَّ صَخْرَةٌ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرِيبٌ مِنِّي، فلما رَأَيْتُ أُضْرِبُ وَرَأَى شِدَّةَ الْمَكَانِ عَلَيَّ نَزَلَ فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ مِنْ يَدِي، فَضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً لَمَعَتْ تَحْتَ الْمِغْوَلِ بَرْقَةً، قال: ثم ضَرَبَ بِهِ ضَرْبَةً أُخْرَى فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةً أُخْرَى، قال: ثم ضَرَبَ بِهِ الثَّالِثَةَ فَلَمَعَتْ تَحْتَهُ بَرْقَةً أُخْرَى، قال: قُلْتُ: يَا أُمَّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ لَمَعَ تَحْتَ الْمِغْوَلِ وَأَنْتَ تَضْرِبُ؟! قَالَ: «أَوْ قَدْ رَأَيْتَ ذَلِكَ يَا سَلْمَانُ؟!» قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ، قَالَ: «أَمَّا الْأَوَّلَى فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْيَمْنَ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإِنَّ اللَّهَ فَتَحَ عَلَيَّ بِهَا الْمَشْرِقَ» [٧١١].

= كثير في البداية والنهاية (١١٣/٤ - ١١٤) وقال: هكذا رواه ابن إسحاق، وفيه انقطاع، وهكذا رواه البيهقي من طريقه ولم يزد. اهـ.

[٧١٠] أخرجه أحمد (٣٧٧/٣) من طريق ابن إسحاق حديثني سعيد بن ميناء عن جابر به، قلت: وهذا إسناد حسن، ومحمد بن إسحاق صرح بالتحديث، وسعيد بن ميناء ثقة، كما في التقريب (٣٠٦/١) (٢٦٧).
[٧١١] أخرجه البيهقي في الدلائل (٤١٧/٣ - ٤١٨) عن ابن إسحاق به معضلاً، وقال: وهذا الذي ذكره محمد بن إسحاق بن يسار من قصة سلمان ذكرنا معناه منقولاً عن معاذ بن أبي الأسود عن عروة عن موسى بن عقبة.
وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١١٤/٤) والسيوطي في الخصائص (٣٧٨/١) قلت: وللحديث عدة شواهد:

(١) حديث عمرو بن عوف المزني.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول - حين فُتِحَتْ هذه الأمصارُ في زمان عمر وزَمانِ عُثْمَانَ وما بعده: «أَفْتَتِحُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ، فَوَ الَّذِي نَفَسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، مَا أَفْتَتَحْتُمْ مِنْ مَدِينَةٍ وَلَا تَفْتَتِحُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مَفَاتِيحَهَا قَبْلَ ذَلِكَ» [٧١٢].

منازل المشركين حول المدينة

قال ابن إسحاق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت

== أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٥٦٧/٢ - ٥٦٨)، والبيهقي في الدلائل (٤١٨/٣ - ٤١٩) وابن سعد في الطبقات (٦٢/٤ - ٦٣)، والحاكم في مستدرکه (٥٩٨/٣) والطبراني في الكبير (٦/٢١٢ - ٢١٣) (٦٠٤٠) والحاكم والطبراني كلاهما مختصراً، كلهم من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده مرفوعاً.

والحديث سكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: سنده ضعيف. وقال الهيثمي في المجمع (١٣٣/٦): رواه الطبراني، وفيه كثير بن عبد الله المزني، وقد ضعفه الجمهور، وحسن الترمذي حديثه، وبقي رجاله ثقات، وقال ابن كثير في البداية (١١٥/٤): حديث غريب، قلت: وكثير هذا، قال فيه أحمد: «منكر الحديث ليس بشيء»، وقال ابن معين: «ليس بشيء» وقال أبو داود، «كان أحد الكذابين»، وقال أبو زرعة: «واهي الحديث ليس بقوي»، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث - راجع تهذيب الكمال (١٣٧/٢٤) (٤٩٤٨) وذكره ابن كثير في البداية (١١٥/٤) من حديث عبد الله بن عمرو وعزاه للطبراني - وقال: وهذا أيضاً غريب من هذا الوجه.

وفي الباب أيضاً حديث البراء:

أخرجه أحمد (٣٠٣/٤)، والنسائي في الكبرى (٢٦٩/٥ - ٢٧٠) والبيهقي في الدلائل (٤٢١/٣)، وأبو نعيم في دلائله (٤٩٩/٢) (٤٣٠) وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٨/٧) (٣٦٨٢٠) كلهم من طريق ميمون مولى عبد الرحمن بن سمرة عن البراء بن عازب، قال: أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق...».

قلت: ميمون هذا قال فيه ابن معين: ولا شيء. وقال شعبة: كان فسلأ، وقال أبو داود: تكلم فيه، وقال أحمد، أحاديثه مناكير، وقال الحافظ في التقریب: ضعيف.

وفي الباب حديث عبد الله بن عباس:

أخرجه الطبراني في الكبير (٣٧٦/١١ - ٣٧٧) (١٢٠٥٢) وقال الهيثمي في المجمع (١٣٥/٦): رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري، وهما ثقتان.

[٧١٢] أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه (٥٧٠/٢) والبيهقي في الدلائل (٤١٨/٣) وأورده ابن كثير في البداية (١١٧/٤) كلهم نقلاً عن ابن إسحاق، وقال ابن كثير: وهذا من هذا الوجه منقطع، وقد وصل من غير وجه.

قلت: أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٢/٦) - كتاب الجهاد والسير (٥٦) - باب (١٢٢) (٢٩٧٧) ومسلم (٧/٣) - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - حديث رقم (٦/٥٢٣) وغيرهما.

بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ دُومَةَ بَيْنَ الْحَرْفِ وَرَعَابَةَ^(١) فِي عَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيْشِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلْتَ غَطَفَانَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ حَتَّى نَزَلُوا بِذَنْبِ نَقْمَى إِلَى جَانِبِ أَحُدٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى (ب/١٩٣) جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَضَرَبَ هُنَالِكَ عَسْكَرَهُ وَالْخَنْدُقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

حيي بن أخطب يعرض كعب بن أسد القرظي على رسول الله

قال ابن إسحاق: وأمر بالذَّرَارِي والنِّسَاءِ، فجعَلُوا فِي الْأَطَامِ^(٢)، وَخَرَجَ عَدُوُّ اللَّهِ حَيِّيُّ بْنُ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ حَتَّى أَتَى كَعْبَ بْنَ أَسَدِ الْقُرْظِيِّ صَاحِبَ عَقْدِ بَنِي قَرِيظَةَ وَعَهْدِهِمْ، وَكَانَ قَدْ وَاذَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَوْمِهِ، وَعَاقَدَهُ عَلَى ذَلِكَ وَعَاهَدَهُ، فَلَمَّا سَمِعَ كَعْبُ بْنُ حَيِّيٍّ بِنَ أَخْطَبِ أَعْلَقَ دُونَهُ بَابَ حِضْنِهِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ، فَنَادَاهُ حَيِّيُّ، وَيَخُكُ يَا كَعْبُ أَفْتَحْ لِي، قَالَ: وَيَحُكُ يَا حَيِّيُّ، إِنَّكَ أَمْرٌ مَشْتُومٌ، وَإِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا؛ فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَمْ أَرْ مِنْهُ إِلَّا وِفَاءً وَصِدْقًا، قَالَ: وَيَخُكُ افْتَحْ لِي أَكْلُكُمْ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ أَعْلَقْتُ الْحِضْنَ دُونِي إِلَّا تَخَوَّفْتُ عَلَى جَشِيْشَتِكَ^(٣) أَنْ أَكَلَ مِنْهَا مَعَكَ؛ فَأَحْفَظُ^(٤) الرَّجُلَ؛ فَفَتَحَ لَهُ، فَقَالَ: وَيَخُكُ يَا كَعْبُ جِئْتُكَ بِعِزِّ الدَّهْرِ وَبِبَحْرِ^(٥) طَامٍ؛ جِئْتُكَ بِقَرِيْشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ دُومَةَ، وَيَعْطِفَانِ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتَهُمْ بِذَنْبِ نَقْمَى إِلَى جَانِبِ أَحُدٍ، قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي عَلَى الْأَبْرِحَا حَتَّى نَسْتَأْصِلَ مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهُ كَعْبُ: جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذَلِكَ الدَّهْرِ، وَبِجِهَامِ^(٦) قَدْ هَرَأَقَ مَاءَهُ، فَهُوَ يُرْعِدُ وَيَبْرُقُ فِيهِ شَيْءٌ، وَيَخُكُ يَا حَيِّيُّ فَدَغْنِي وَمَا أَنَا عَلَيْهِ فَإِنِّي لَمْ أَرْ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوِفَاءً، فَلَمْ يَزَلْ حَيِّيُّ بِكَعْبٍ يَفْتَلُهُ فِي الدُّرُوزِ وَالغَارِبِ^(٧) حَتَّى سَمِعَ لَهُ عَلَى أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا وَمِيثَاقًا؛ لِيُنْ رَجَعَتْ قَرِيْشٌ وَعْطِفَانٌ وَلَمْ يَصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخَلَ مَعَكَ فِي حِضْنِكَ حَتَّى يَصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ،

(١) رَعَابَةُ بِالزَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ. هُوَ الْجَيْدُ، وَكَذَلِكَ زَوَاهُ الْوَقْفِيُّ، كَمَا قَالَ الْخَشْنِيُّ.

(٢) الْأَطَامُ: هِيَ الْقُصُورُ، وَيُقَالُ: هِيَ الْحُصُونُ، وَاجْدُهَا: أَطَمٌ.

(٣) الْجَشِيْشَةُ: طَعَامٌ يُصْنَعُ مِنَ الْجَشِيْشِ، وَهُوَ الْبُرُّ يُطْحَنُ غَلِيظًا، وَهُوَ الَّذِي تَقُولُ لَهُ الْعَامَةُ: دَشِيْشٍ بِالذَّالِ، وَالصَّوَابُ فِيهِ بِالْجِيمِ.

(٤) فَأَحْفَظُ الرَّجُلَ، أَي: أَعْضِبُهُ، وَالْحَفِظَةُ: الْغَضَبُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.

(٥) بَحْرٌ طَامٌ، أَي: مُرْتَفِعٌ.

(٦) الْجِهَامُ: السَّحَابُ الرَّقِيقُ الَّذِي لَا مَاءَ فِيهِ.

(٧) الدُّرُوزُ وَالغَارِبُ: عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، وَأَرَادَ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَخْدَعُهُ كَمَا يُخْدَعُ الْبَعِيرُ إِذَا كَانَ نَافِرًا، فَيُتَمَسَّحُ بِالْيَدِ عَلَى ظَهْرِهِ، حَتَّى يَسْتَأْنِسَ؛ فَيُجْعَلُ الْخَطَامُ عَلَى رَأْسِهِ.

فنفض كعب بن أسد عهده، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

رسول الله يعلم بانتفاض كعب بن أسد فيرسل من يتأكد له من ذلك

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخَيْرُ، وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ - وهو يومئذ سَيِّدُ الْأَوْسِ - وَسَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ بْنَ دُلَيْمٍ أَحَدَ بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ - وهو يومئذ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - ومعهما عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ أَخُو بَنِي الْحَرِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ، وَخَوَاتُ بْنُ جُبَيْرِ أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: «أَنْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا أَحَقَّ مَا بَلَّغْنَا عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْ لَا فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَثُوا لِي لِحَنَاءِ أَعْرَفُهُ^(١) وَلَا تَقْتُلُوا فِي أَعْضَادِ^(٢) النَّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَأَجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ» قَالَ: فَخَرَجُوا حَتَّى أَتَوْهُمْ، فَوَجَدُوهُمْ عَلَى أَحَبِّبٍ مَا بَلَّغَهُمْ عَنْهُمْ، نَالُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا: مَنْ رَسُولُ اللَّهِ؟! لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَا عَهْدَ، فَسَأَلَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَشَاتَمُوهُ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ: دَعْ عَنكَ مُشَاتَمَهُمْ، فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنَ الْمَشَاتِمَةِ^(٣)، ثُمَّ أَقْبَلَ سَعْدُ وَسَعْدُ وَمَنْ مَعَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: عَظْمُ الْقَارِئَةِ، أَي: كَعْدَرِ عَظْمِ الْقَارِئَةِ بِأَصْحَابِ الرَّجِيعِ حُبَيْبِ وَأَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (١/١٩٤) -: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ».

اشتداد الخوف وظهور نفاق المنافقين

وَعَظَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ظَنْ، وَنَجَمَ النِّفَاقُ مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، حَتَّى قَالَ مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا الْيَوْمَ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْعَائِطِ [٧١٣].

قال ابن هشام: وأخبرني من أثق به من أهل العلم أنَّ مُعْتَبَ بْنَ قُشَيْرٍ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَأَخْتَجَّ بِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ [٧١٤].

[٧١٣] أخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٠/٢، ٥٧٢)، والبيهقي في الدلائل (٤٢٨/٣ - ٤٢٩) مختصراً وأورده ابن كثير في البداية (١١٧/٤ - ١١٩) كلهم عن ابن إسحاق مرسلًا.
[٧١٤] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.

(١) اللَّحْنُ هُنَا: اللَّغْزُ، وَهُوَ أَنْ يُخَالِفَ ظَاهِرَ الْكَلَامِ مَعْنَاهُ.

(٢) لَا تَقْتُلُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ، يُقَالُ: فَتَّ فِي عَضِيهِ: إِذَا ضَعَفَهُ وَأَوْثَقَهُ.

(٣) أَرْبَى مِنَ الْمَشَاتِمَةِ، أَي: أَعْظَمَ.

قال ابن إسحاق: وحتى قال أَوْسُ بن قَيْظِي أَحَدُ بني حارثة بن الحرث: يا رسول الله، إِنَّ يَبُوتَنَا عَوْرَةً مِنَ الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ، فَأَذُنَّا لَنَا أَنْ نَخْرُجَ فَنَرْجِعَ إِلَى دَارِنَا فَإِنَّهَا خَارِجٌ مِنَ الْمَدِينَةِ.

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَقَامَ عَلَيْهِ الْمَشْرُكُونَ بِضِعْماً وَعَشْرِينَ لَيْلَةً قَرِيباً مِنْ شَهْرٍ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ إِلَّا الرُّمِّيَا^(١) بِالنَّبْلِ وَالْحِصَارِ [٧١٥].

قال ابن هشام: ويقال: الرُّمِّيَا.

رسول الله يشرع في الصلح مع غطفان

فلما اشتد على الناس البلاء بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ وَمَنْ لَا أَتُهُمْ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْهَابِ الزُّهْرِيِّ، إِلَى عَيْنَةَ بْنِ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، وَإِلَى الْحَرِثِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيِّ - وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ - فَأَعْطَاهُمَا تُلُكَّ تِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ، فُجِّرْتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعْ الشَّهَادَةُ وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ، إِلَّا الْمُرَاوَضَةَ فِي ذَلِكَ.

رسول الله يستشير سعد بن معاذ فيأبى قبول الصلح

فلما أراد رسول الله ﷺ أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ وَسَعْدِ بْنِ عَبَّادَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا وَاسْتَشَارَهُمَا، فَقَالَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرٌ نُحِبُّهُ فَتَضَنَعُ، أَمْ شَيْئاً أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئاً تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: «بَلْ شَيْءٌ أَضْتَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَضْتَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ وَكَالْبُوكُمُ^(٢) مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَزِدْتُمْ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا» فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ وَهُمْ لَا يَظْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قَرَى^(٣) أَوْ بَيْعاً، أَفَجِئْنَا أَكْرَمَنَا اللَّهَ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ

= قلت: والقول كما قال المصنف؛ فإن معتباً هذا شهد العقبة وبدراً واحداً، وانظر ترجمته في أسد الغابة (٢١٦/٥) ت (٥٠١٧)، والإصابة (٨١٣٤) والاستيعاب ت (٢٤٨٧).

[٧١٥] أخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٢/٢)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١١٩/٤) نقلاً عن ابن إسحاق، وإسناده منقطع.

(١) الرُّمِّيَا: فَعِيلٌ مِنَ الرُّمَى لِلْمُبَالَغَةِ بِمَنْزِلَةِ الْهَجْرِيِّ.

(٢) كَالْبُوكُم، أَي: اسْتَدْرَأُوا عَلَيْكُمْ، وَأَضْلَهُ: الْكَلْبُ، وَهُوَ الشَّعَاؤُ.

(٣) إِلَّا قَرَى أَوْ بَيْعاً، الْقَرَى: مَا يُضْنَعُ لِلصَّنْفِ مِنَ الطَّعَامِ.

وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟! وَاللَّهِ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نَعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَخُكِّمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَنْتَ وَذَاكَ؟!» فَتَنَاوَلَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا.

جماعة من المشركين يقتحمون الخندق بخيولهم

قال ابن إسحاق: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ وَعَدُوَّهُمْ مُحَاصِرُوهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ، إِلَّا أَنَّ فَوَارِسَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ بْنِ أَبِي قَيْسٍ أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.

قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبي قيس.

قال ابن إسحاق: وَعَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ وَهَبِيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهَبٍ، الْمُخْزُومِيَّانِ، وَضِرَارُ ابْنِ الْخَطَّابِ الشَّاعِرِ ابْنَ مِرْدَاسِ بْنِ مُحَارِبِ بْنِ فَهْرِ، تَلَبَّسُوا لِلْقِتَالِ، ثُمَّ خَرَجُوا (ب/١٩٤) عَلَى خَيْلِهِمْ حَتَّى مَرُّوا بِمَنَازِلِ بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالُوا: تَهَيَّئُوا يَا بَنِي كِنَانَةَ لِلْحَرْبِ، فَسَتَّغْلَمُونَ مِنَ الْفَرَسَانِ الْيَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا تُغْنِقُ بِهِمْ^(١) خَيْلَهُمْ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ، فَمَا رَأَوْهُ قَالُوا: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا [٧١٦].

قال ابن هشام: ويقال: إِنْ سَلَمَانَ الْفَارِسِيِّ أَشَارَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُهَاجِرِينَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ قَالُوا: سَلَمَانُ مِنَّا، وَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: سَلَمَانُ مِنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلَمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»^(٢) [٧١٧].

علي بن أبي طالب وعمرو بن عبد ود

قال ابن إسحاق: ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا ضَيْقًا مِنَ الْخَنْدَقِ، فَضَرَبُوا خِيُولَهُمْ فَأَقْتَحَمَتْ مِنْهُ، فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السُّبْحَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ، وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفَرٍ

[٧١٦] أخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٢/٢ - ٥٧٣)، وأورده ابن كثير في البداية (١٢٠/٤) كلاهما نقلاً عن ابن إسحاق مرسلًا.

[٧١٧] تقدم تخريجه.

(١) تُغْنِقُ بِهِمْ خَيْلَهُمْ، أَي: تُسْرِعُ.

(٢) قوله ﷺ: «سَلَمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»، بِتَضْبِئِ أَهْلِ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ، أَوْ عَلَى إِضْمَارِ أَغْنِي، وَأَمَّا الْخَفْضُ عَلَى الْبَدَلِ فَلَمْ يَزِهِ سَبِيوَهُ جَائِزًا مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ وَلَا مِنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ؛ لِأَنَّهُ فِي غَايَةِ الْبَيَانِ، وَأَجَازَةِ الْأَخْفَشِ. ينظر سبل الهدى والرشاد ٤/٣٩٧.

مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى أَخَذُوا عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ^(١) الَّتِي أَفْحَمُوا مِنْهَا خَيْلَهُمْ، وَأَقْبَلَتِ الْفُرْسَانُ تُغْنِقُ نَحْوَهُمْ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدِّ قَدْ قَاتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ، فَلَمْ يَشْهَدْ يَوْمَ أَحَدٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعَلِّمًا لِيُرَى مَكَانَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخَيْلُهُ قَالَ: مَنْ يَبَارِزُ؟ فَبَرَزَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمْرُو، إِنَّكَ قَدْ كُنْتَ عَاهَدْتَ اللَّهَ أَلَّا يَدْغُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى إِحْدَى خَلْتَيْنِ إِلَّا أَخَذَتْهَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ: أَجَلٌ، قَالَ لَهُ عَلِيُّ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ، فَقَالَ لَهُ: لِمَ يَا أَبْنَ أَخِي؟! فَوَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ، قَالَ لَهُ عَلِيُّ: وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ، فَحَمِيَ عَمْرُو^(٢) عِنْدَ ذَلِكَ، فَاقْتَحَمَ عَنْ قَرَسِهِ فَعَقَرَهُ وَضَرَبَ وَجْهَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا، فَقَتَلَهُ عَلِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَخَرَجَتْ خَيْلُهُمْ مِنْهَزِمَةً حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً [٧١٨].

كلمة لعلي بن أبي طالب في قتله عمرو بن عبد ود

قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك [من الكامل]:

نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي^(٣)
فَصَدَرْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلاً كَالْجِدْعِ بَيْنَ دَكَاذِكِ وَرَوَابِي^(٤)

[٧١٨] أخرجه الحاكم (٣/٣٢ - ٣٣)، والبيهقي في الدلائل (٣/٤٣٧)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/١٢٠) كلهم نقلاً عن ابن إسحاق معضلاً.

وله شاهد ضعيف أخرجه الحاكم (٣/٣٢) من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب مرسلًا، ومراسيل الزهري ضعيفة كما تقدم مرارًا.

وشاهد آخر من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعاً «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة».

وسكت عنه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: قبح الله رافضياً افتراه.

قلت: يقصد أحمد بن عيسى الثنيسي الخشاب، كذبه جماعة، وقد روى عدة أحاديث كلها موضوعة فلا حياه الله ولا بياه.

(١) حتى أخذوا عليهم الثغرة، الثغرة: هي الثلم الذي كان هنالك في الخندق، والمعلم: الذي جعل لنفسه علامة يُعرف بها.

(٢) فحمي عمرو، أي: اشتد غضبه.

(٣) الحجارة هنا: هي الأنصاب التي كانوا يعبدونها، ويتذبحون لها.

(٤) متجدلاً، أي: لاصقاً بالأرض، وهي الجدالة.

والجدع: فرغ التحلة، والدكاك: جمع دكاك، وهو الرمل اللين، والروابي: جمع رابية، وهي الكذبة المرتفعة.

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَكَوَأْتَنِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَرِّئِي أَثْوَابِي^(١)
لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَاذِلًا دِينِهِ وَتَبِيَّهُ يَا مَعْشَرَ الْأَخْرَابِ^(٢)
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب.

عكرمة بن أبي جهل يفر ويلقي رمحه فيهجو حسان

قال ابن إسحاق: وألقى عكرمة بن أبي جهل رُمَحَهُ يومئذ وهو منهزمٌ عن عمرو، فقال
حَسَانُ بن ثابت في ذلك [من المتقارب]:

فَرٌّ وَأَلْقَى لَنَا رُمَحَهُ لَمَلَّكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلِ
وَوَلَيْتَ تَعْدُو كَعْدُو الظَّلِيمِ سِمَ مَا إِنْ تَحُورُ عَنِ الْمَغْدِلِ^(٣)
وَلَمْ تُلْقِ ظَهْرَكَ مُسْتَأْنَسًا كَأَنَّ قَمَاكَ قَمَا فُرْعَلِ^(٤) [٧١٩]

قال ابن هشام: الفُرْعَلُ: صغير الضَّبَاعِ، وهذه الأبيات في أبيات له.

شعار رسول الله وأصحابه يوم الخندق

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبني قريظة: «لحم لا يُنصرون».

سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل
الأنصاري أخو بني حارثة، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق،
وكان من أحرز حصون المدينة، قال: وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن، فقالت
عائشة: . . . وذلك قبل أن يضرَبَ علينا الحجاب، فمر سعد وعليه دِرْعٌ له مقلصة^(٥) قد
خرجت منها ذراعه كلها، وفي يده حزبته يزفل^(٦) بها، ويقول (أ/١٩٥) [من الرجز]:

[٧١٩] انظر هذا الشعر في البداية والنهاية لابن كثير (٤/١٢١).

(١) المقطر: اسم مفعول، من قولهم: قطرت الفارس: إذا ألقته على أحد جنبيه، والقطر: الجانب،
يقال: طمته فقطره أي: ألقاه على أحد جانبيه، يزني، أي: سلبنى وجرذني.

(٢) ينظر البداية والنهاية (٤/١٢١).

(٣) ووليت تعدو كعدو الظليم، التلميح: ذكر الثمام.

(٤) ينظر ديوانه ص ٢٦١، البداية والنهاية (٤/١٢١).

(٥) مقلصة، أي: قصيرة قيد ارتفعت وانقبضت، يقال: تقلص الشيء: إذا ارتفع وتقبض.

(٦) قال الخشني ودويبت: يزفد، ويقال: يزمد، يعني: يسرع. وقال بعض اللغويين: الازقداد: بمعنى: =

لَبِثَ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ^(١)

سعد بن معاذ يصاب بسهم

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: الْحَقُّ أَيُّ بَيْتِي، فَقَدْ وَاللَّهِ أَخَزَّتْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ سَعْدِ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنْ دَرَعَ سَعْدٌ كَانَتْ أَسْبَغَ^(٢) مِمَّا هِيَ، قَالَتْ: وَخِفتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ [٧٢٠]، فَرُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَّعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ^(٣)، رَمَاهُ - كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِ بْنِ قَتَادَةَ - حَبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعَرِيقَةِ، أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: عَزَقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قَرِيشٍ شَيْئًا، فَأَبْقِنِي لَهَا؛ فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ آذَوْا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَضَعْتَ الْحَزْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَاجْعَلْ لِي شَهَادَةً، وَلَا تُمِثْنِي حَتَّى تُقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ [٧٢١].

[٧٢٠] أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ (٥٧٤/٢ - ٥٧٥)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي الدَّلَائِلِ (٤٤٠/٣ - ٤٤١) وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي أَسَدِ الْغَابَةِ (٤٦١/٢) ت (٢٠٤٦)، وَأَوْرَدَهُ الذَّهَبِيُّ فِي السِّيَرِ (٢٨١/١)، وَابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ (١٢٣/٤ - ١٢٤) كُلُّهُمُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي حَصْنِ بَنِي حَارِثَةَ...
قُلْتُ: وَهَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مِنْ أَجْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيُّ أَبُو لَيْلَى ثِقَةٌ، كَمَا فِي التَّقْرِيبِ (٤١٧/٢).
وَلَهُ شَاهِدٌ:

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٤١/٦)، وَابْنُ إِسْحَاقَ فِي الطَّبَقَاتِ (٣٢٢/٣) وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ (٢٠٧/٣) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدِ بْنِ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عُلْقَمَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: وَمُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو صَدُوقٌ لَهُ أَوْهَامٌ كَمَا فِي التَّقْرِيبِ (١٩٦/٢) (٥٨٣)، وَأَبُوهُ أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُ فَهُوَ مَقْبُولٌ كَمَا فِي التَّقْرِيبِ (٧٥/٢) (٦٣٩).

[٧٢١] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (١٣١/٢) - كِتَابُ الصَّلَاةِ (٨) - بَابُ الْخِيْمَةِ فِي الْمَسْجِدِ - (٤٦٣) وَمُسْلِمٌ (٣٣٦/٦) - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ (٣٢) - بَابُ جَوَازِ قِتَالٍ مِنْ نَقْضِ الْعَهْدِ - (١٧٦٩) وَأَبُو دَاوُدَ (١٨٦/٣) - كِتَابُ الْجَنَائِزِ - بَابُ فِي الْعِيَادَةِ مَرَارًا - رَقْمُ (٣١٠١) وَالنَّسَائِيُّ (٤٥/٢) - كِتَابٌ =

= النَّافِرِ، وَيُرْفَلُ: يَمْشِي مَتَبَخَّرًا.

(١) حَمَلٌ هُنَا: اسْمٌ رَجُلٍ، وَهَذَا الرَّجُلُ قَدِيمٌ تَمَثَّلَ بِهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتُ هَكَذَا:

لَبِثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ.

وَهُوَ لِحَمَلِ بْنِ سَعْدَانَ بْنِ عَلِيمِ الْعَلِيمِيِّ فِي تَاجِ الْعُرُوسِ (حَمَلٌ)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (١١/١٨٢) (حَمَلٌ).

(٢) أَسْبَغَ، أَكْمَلَ. وَالذِّرْعُ، السَّيْفُ: هُوَ الْكَامِلُ.

(٣) الْأَكْحَلُ: عَزَقَ فِي الذِّرَاعِ.

كلمة لأبي أسامة الجشمي، يذكر فيها أنه الذي أصاب سعداً

قال ابن إسحاق: وحديثي من لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول: ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم، وقد قال أبو أسامة في ذلك شِعْراً لعكرمة بن أبي جهل [من الطويل]:

أَعْرَمَ هَلْأُ لَمْتَنِي إِذْ تَقُولُ لِي: فِدَاكَ بِأَطَامِ الْمَدِينَةِ خَالِدٌ^(١)
 أَلَسْتُ الَّذِي أَلَزَمْتُ سَعْدًا مُرِشَّةً لَهَا بَيْنَ أَثْنَاءِ الْمَرَافِقِ عَائِدٌ^(٢)
 قَضَى نَحْبَهُ مِنْهَا سَعِيدٌ فَأَعْوَلْتُ عَلَيْهِ مَعَ الشُّمَطِ الْعَدَاوَى التَّوَاهِدُ^(٣)
 وَأَنْتَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنْهُ وَقَدْ دَعَا عَبِيدَهُ جَمْعاً مِنْهُمْ إِذْ يُكَايِدُ
 عَلَى حِينٍ مَا هُمْ جَائِزٌ عَنْ طَرِيقِهِ وَآخِرُ مَرْغُوبٍ عَنِ الْقَصْدِ غَامِدٌ^(٤) [٧٢٢]

= الأذان - باب ضرب الخباء في المساجد - (٧١٠) وأحمد (٥٦/٦)، والطبراني في الكبير (٧٠٦/٦) (٥٣٢٥) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: أصيب سعد يوم الخندق... والروايات مختصرة مطولة، وعند أحمد اسم الرجل الذي رمى سعداً. وأخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٥/٢)، والبيهقي في الدلائل (٤٤١/٣ - ٤٤٢) من طريق ابن إسحاق مرسلًا. وأخرجه الترمذي: (١٤٤/٤ - ١٤٥) - كتاب السير (٢٢) - باب ما جاء في النزول على الحكم - (١٥٨٢) من طريق الليث عن أبي الزبير عن جابر أنه قال: رُمي يوم الأحزاب سعد... وقال الترمذي، حسن صحيح. قلت: وإسناده صحيح ولا تضر عنعنة أبي الزبير لرواية الليث عنه، فهي محمولة على السماع إذا روى عنه الليث وأخرجه الحاكم (٢٠٥/٣) من طريق محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الله بن كعب مرسلًا. [٧٢٢] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق وإرسال ابن كعب. وأخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٦/٢ - ٥٧٧)، والبيهقي في الدلائل (٤٤٢/٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٤٦٢/٢) ت (٢٠٤٦) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٤/٤).

- (١) الأطام: هي القصور، والحصون أيضاً، وقد تقدم.
- (٢) مُرِشَّةٌ: يعني زَمِيَّةٌ أصابته، فأطارت رَشَاشَ الدَّمِ منه، والمَرَافِقُ هنا ما يُعْتَمَدُ عليه، والعَائِدُ: العِرْقُ الذي لا يَنْقَطِعُ منه الدَّمُ.
- (٣) قَضَى نَحْبَهُ، أي: أَجَلَهُ. أَعْوَلْتُ، أي: بَكَتُ بِصَوْبِ مُرْتَفِعٍ. والشُّمَطُ: جَمْعُ شَمْطَاءَ، وهي التي خَالَطَ شَعْرَهَا الشَّيْبُ. والعَدَاوَى: الأَبْكَارُ. والتَّوَاهِدُ: جَمْعُ نَاهِدٍ وهي التي ظهر نَهْدُهَا.
- (٤) المَرْغُوبُ: المَفْرُوعُ، ومن رَوَاهُ: مَرْغُوبٌ بِالْعَيْنِ المُعْجَمَةُ، فمعناه: رَغِبَ عَنِ الْقَصْدِ أي: تَرَكَه، وهو على معنى النَّسْبِ، أي: ذو رُغْبَةٍ، والرُّوَايَةُ الصُّحِيحَةُ فيه إِنَّمَا هي بِالْعَيْنِ المَهْمَلَةِ. ينظر البداية والنهاية (١٢٤/٤).

والله أعلم أي ذلك كان.

شأن صفيّة بنت عبد المطلب واليهودي الذي يطيف بالحصن

قال ابن هشام: ويقال: إن الذي رمى سعداً خفاجةً بن عاصم بن حبان.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد، قال: كانت صفيّة بنت عبد المطلب في قارع حصن حسان بن ثابت، قالت: وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان، قالت صفيّة - رضي الله عنها - : فمرّ بنا رجل من يهود، فجعل يطيف بالحصن، وقد حازبت بنو قريظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا، ورسول الله ﷺ والمسلمون في تحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، قالت: فقلت: يا حسان، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل إليه فاقته، قال: يخفّر الله لك يا ابنة عبد المطلب، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت: فلما قال لي ذلك، ولم أر عنده شيئاً أحتجزت^(١) ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه، فضرته بالعمود^(٢) حتى قتلتها، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن، فقلت: يا حسان، انزل إليه فاسألني؛ فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل، قال: مالي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب [٧٢٣].

[٧٢٣] إسناده مرسل، والحديث حسن لغيره.

أخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٧/٢) والبيهقي في الدلائل (٤٤٢/٣ - ٤٤٣) وابن الأثير في أسد الغابة (٨/٢ - ٩) ت (١١٥٣)، وأورده ابن كثير في البداية (١٢٤/٤ - ١٢٥) كلهم من طريق ابن =

(١) اَحْتَجَزْتُ، شَدَدْتُ وَسَطِي، يقال: اَحْتَجَزَ فُلَانٌ بِلِزَارِهِ: إِذَا شَدَّهُ فِي وَسْطِهِ، وَمَنْ رَوَاهُ: اِعْتَجَزْتُ فَمَعْنَاهُ: شَدَدْتُ بِفَجْرِي.

(٢) الْعَمُودُ هُنَا: أَحَدُ أَعْمِدَةِ الْبَيْتِ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا، يَعْنِي الْبَيْتَ مِنَ الشُّعْرِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَمُودُ فِي مَوْضِعِ آخَرِ الْمَفْرَعِ مِنَ الْحَدِيدِ، وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدِيثَ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ عَنْ أَبِيهِ فِي قِصَّةِ حَسَّانَ مَعَ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَنَّهَا نَزَلَتْ لِقَتْلِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي طَافَ بِالْحِصْنِ بَعْدَ أَنْ عَرَّضَتْ عَلَيْهِ النُّزُولَ لَهُ لِيَقْتُلَهُ فَاِمْتَنَعَ، ثُمَّ عَرَّضَتْ عَلَيْهِ النُّزُولَ لِأَخْذِ سَلْبِهِ بَعْدَ قَتْلِهَا إِيَّاهُ فَاِمْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ حَذَرًا وَجُبْنًا عَلَى مَا ذَكَرَ، وَهَذَا الْحَدِيثُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُهَاجِرُ الشُّعْرَاءَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَيُنَاوِئُهُمْ، وَلَمْ يَزِمِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِجُبْنٍ وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَدْمُونَ بِهِ؛ فَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحًا لَكَانَ مِمَّا يُذَكَّرُ فِي الشُّعْرِ وَيُدْمَى بِهِ كَمَا دَمَ هُوَ غَيْرَ وَاحِدٍ وَهَجَاهُ بِالْفِرَارِ مِنَ الْقِتَالِ وَالْجُبْنِ. فَلَمَّا لَمْ يَذَكَّرْ ذَلِكَ فِي شُعْرِ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْخَبَرَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ. فَقَوْلُ مَنْ نَسَبَ حَسَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْجُبْنِ عَلَى مَا يَذَكَّرُهُ بَعْضُ النَّاسِ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَنَبَّهْنَا عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ. كَذَا قَالَ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ أَبُو ذَرِّ الْخَشَنِيِّ.

قال ابن إسحاق: وأقام رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فيما وَصَفَ اللَّهُ مِنَ الخوفِ والشدة؛ لتظاهرِ عَدُوِّهِمْ عليهم، وإِثْبَاتِهِمْ إِيَّاهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مَنْهُمْ.

نعيم بن مسعود الغطفاني بين يدي رسول الله يعلن إسلامه ويعرض معونته

ثم إن نُعَيْمَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ عَامِرِ بْنِ أُنَيْفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ (١٩٥/ب) بن قنفذ بن هلال بن خُلاَوَةَ بن أَشْجَعِ بن رَيْثِ بن عَطْفَانَ أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إني قد أسلمتُ، وإنَّ قَوْمِي لم يعلموا بإسلامي، فَمُرْني بما شئتُ، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أَنْتَ فِينَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذَلْ عَنَّا»^(١) إِنْ اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدَعَةٌ.

= إسحاق مرسلًا.

وله عدة شواهد:

(١) حديث الزبير.

أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٣/٢ - ٤٤) (٦٨٣)، من طريق محمد بن الحسن المدني حدثني أم عروة عن أبيها عن جدّها الزبير قال: «لما خلف رسول الله ﷺ...».

قلت: وهذا سند ضعيف جداً، وعلته محمد بن الحسن وهو ابن زبالة، قال ابن معين: «والله ما هو بثقة»، وقال: «كذاب خبيث لم يكن بثقة ولا مأمون، يسرق الحديث» وقال البخاري: «عنده مناكير».

وقال أبو زرعة وأبو حاتم، وأهـي الحديث، وكذبه أبو داود، وقال الدارقطني: متروك. راجع تهذيب الكمال (٦٠/٢٥) - ترجمة رقم (٥١٤٨).

وأبو أم عروة واسمه جعفر بن الزبير - ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١٩١/٢) ت (٢١٥٦) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وكذلك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح التعديل (٤٧٨/٢) ت (١٩٤٨) وذكره ابن حبان في ثقاته (١٠٥/٤) وله ترجمة من طبقات ابن سعد (١٤٠/٥) والتهذيب (٩٢/٢) رقم (١٤١) وأم عروة لم تقع لها على ترجمة، وورد ذكرها فيمن روى عن جعفر بن الزبير.

ووجدت متابعاً لمحمد بن الحسن بن زبالة، أخرجه البزار في مسنده (٣٣٣/٢ - ٣٣٤) (١٨٠٧) والحاكم (٥٠/٤ - ٥١) من طريق إسحاق بن محمد الغروي قال: حدثني أم عروة بنت جعفر بن الزبير به، وقال الحاكم: هذا حديث كبير غريب بهذا الإسناد، وقد روي بإسناد صحيح، وإسحاق هذا صدوق إلا أنه كف فساء حفظه، كما في التقريب (٦٠/١) (٤٣١).

(٢) حديث صفة

أخرجه الحاكم (٥٠/٤ - ٥١)، والطبراني في الكبير (٣١٩/٤) رقم (٨٠٤) والبيهقي في الدلائل (٤٤٣/٣)، وابن سعد في الطبقات (٣٤/٨) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن صفة بنت عبد المطلب قال عروة: وسمعتها تقول: «أنا أول امرأة قتلت رجلاً...».

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي بقوله: «عروة لم يدرك صفة» وذكره الهيثمي في المجمع (١٣٧/٦) وقال: رواه الطبراني، ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ولكنه مرسل.

(١) فَخَذَلْ عَنَّا، أي: أذخِلْ بين القوم حتّى يَخَذَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فلا يُنْصَرُ.

نعيم بن مسعود عند بني قريظة يخذلهم

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمثهم، فقال لهم: إن قريشاً وعطفان ليسوا كأنتم: البلد بلدكم؛ فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقديرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وعطفان قد جاءوا لحزب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتهم عليه، وبلدكم وأموالهم ونساؤهم وبغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة^(١) أصابوها، وإن كان غير ذلك لحجفوا ببلادهم وحلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تانجزوه، فقالوا له: لقد أشرت بالرأي.

نعيم بن مسعود عند قريش يخذلهم

ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم، وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقا أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن تأخذ لك من القبيلتين من قريش وعطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم تكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتصون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

نعيم بن مسعود عند غطفان يخذلهم

ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، إنكم أضلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمثهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، فما أمرك؟؟ ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم ما حذرهم.

رسول قريش وغطفان عند يهود تطلب إليهم الخروج للحرب فيطلبون منهم رهناً

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورسول غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش

(١) النهزة: انبهاز الشيء وهو اختلاسه.

وَعَطْفَانٌ، فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا لَسْنَا بَدَارِ مَقَامٍ وَقَدْ هَلَكَ الْخُفُّ^(١) وَالْحَافِرُ، فَأَغْدُوا لِلْقِتَالِ حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا وَنَفْرُغَ مِمَّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمٌ لَا نَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ أَحَدَتْ فِيهِ بَعْضُنَا حَدَثًا فَأَصَابَهُ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَلَسْنَا مَعَ ذَلِكَ بِالَّذِينَ نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا زُهْنًا مِنْ رِجَالِكُمْ يَكُونُونَ بِأَيْدِينَا ثِقَةً لَنَا حَتَّى نُنَاجِزَ مُحَمَّدًا، فَإِنَا نَخْشَى أَنْ ضَرَّسْتَكُمْ^(٢) الْحَرْبَ وَاشْتَدَّ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَنْ تَنْشَمِرُوا^(٣) إِلَى بِلَادِكُمْ وَتَتْرَكُونَا وَالرَّجُلَ فِي بِلَدِنَا وَلَا طَاقَةَ لَنَا بِذَلِكَ مِنْهُ.

قريش تأتي أن تعطي اليهود رهناً

فلما رجعت إليهم الرُّسُلُ بما قالت بنو قريظة قالت قريش وعطفان: واللَّهِ، إنَّ الذي حَدَّثَكُم نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقُّ، فَأَرْسَلُوا [إِلَى] بَنِي قَرِيظَةَ: إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَدْفَعُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ رِجَالِنَا، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الْقِتَالَ فَاخْرُجُوا فِقَاتِلُوا، فَقَالَتْ بَنُو قَرِيظَةَ (١/١٩٦) حِينَ انْتَهَتْ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ بِهَذَا: إِنَّ الَّذِي ذَكَرَ لَكُمْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ لَحَقُّ، مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ إِلَّا أَنْ تَقَاتِلُوا، فَإِنْ رَأَوْا فُرْصَةً انْتَهَزُوهَا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَنْشَمَرُوا إِلَى بِلَادِهِمْ وَخَلُّوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي بِلَدِكُمْ.

اليهود تأتي الاشتراك في الحرب إلا أن يأخذوا رهناً

فأرسلوا إلى قريش وعطفان: إنَّ واللَّهِ لَا نُقَاتِلُ مَعَكُمْ مُحَمَّدًا حَتَّى تُعْطُونَا زُهْنًا فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ، وَخَدَّلَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ فِي لِيَالٍ شَتَّابَةٍ بَارِدَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ، فَجَعَلَتْ تَكْفًا قُدُورَهُمْ^(٤) وَتَطْرَحَ أُنْيَيْتُهُمْ^(٥)

رسول الله يرسل حذيفة بن اليمان يتعرف له حال القوم

فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرَّق الله من جماعتهم، دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً [٧٢٤].

[٧٢٤] أخرجه الطبري في تاريخه (٥٧٧/٢، ٥٧٩)، والبيهقي في الدلائل (٤٤٥/٣ - ٤٤٦) مختصراً، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١٢٨/٤ - ١٢٩) وابن الأثير في أسد الغابة (٥/٣٢٨) ت =

- (١) قد هلك الخف والحافر، يعني بالخف: الإبل، وبالحافر: الخيل.
- (٢) ضرسنكم الحرب، أي: نالت منكم، كما يضاب ذر الأضراس بأضرايه.
- (٣) تنشمروا، أي: تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.
- (٤) تكفا قُدورهم، أي: تميلها وتقلبها، يقال: كفأت الإناء: إذا قلبته.
- (٥) أُنْيَيْتُهُمْ هنا: أُنْيَيْتُهُمْ.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتهموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: واللّه، لقد كنا نجهد، قال: فقال: واللّه، لو أذركناه يمشي ما تركناه على الأرض ولحملناه على أعناقنا، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، واللّه، لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويًا^(١) من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ؟» يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة «أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَافِقِي فِي الْجَنَّةِ»؛ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «يا حذيفة، أذهب فأدخل في القوم فأنظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا» قال: فذهبت، فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر أمرؤ من جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع^(٢)، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما تزون؛ ما تطمئن لنا قِدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فأرتجلوا فإني مزلجل، ثم قام إلى جملي وهو مقلوب فجلس عليه، ثم ضربته فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني، ثم شئت لقتلته بسهم.

= (٥٢٨١) وابن حجر في الفتح (١٦٠/٨) رقم الحديث (٤١٠٧) كلهم نقلاً عن ابن إسحاق.

وله شاهد في حديث عائشة مختصر.

أخرجه البيهقي في الدلائل (٤٤٧/٣)، وذكره الحافظ في الفتح (١٦٠/٨ - ١٦١) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنا يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة قالت: كان نعيم رجلاً... وذكره الهندي في كنز العمال (١١٤٠٥).

قلت: هذا إسناد حسن ويزيد بن رومان هو الأسدي أبو روح المدني ثقة. تهذيب الكمال (٣٢)/ (١٢٢) (٦٩٨٦) وأما قوله: «الحرب خدعة» فهو حديث صحيح.

أخرجه البخاري في صحيحه (٢٦٨/٦) - كتاب الجهاد والسير - باب خدعة - (٣٠٣٠) ومسلم (٦/ ٢٨٨) - كتاب الجهاد والسير (٣٢) - باب كراهة تمنى لقاء العدو - (١٧٣٩) وغيرهما.

(١) فصلى هويًا من الليل، أي: قطعة منه، ويقال يفتح الهاء وضماً.

(٢) لقد هلك الكراع^(٢)، وأخلفنا هنا: الخيل.

قال حذيفة: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وهو قائمٌ يُصَلِّي في مِرْطٍ^(١) لبعض نسائه مَرَاجِلَ [٧٢٥].

قال ابن هشام: المَرَاجِلُ: ضَرْبٌ من وَشِي اليمَن. فلما رأني أدخلني إلى رِجْلَيْهِ، وَطَرَحَ عَلَيَّ طَرْفَ المِرْطِ، ثم رجع وسجد واني لفيهِ، فلما سَلَّمَ أخبرته الخبر. وَسَمِعْتُ عَطْفَانَ بما فَعَلْتُ قريشَ فَأَنْشَمَرُوا راجعين إلى بلادهم.

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ، فِي سَنَةِ خَمْسِ

أمر الله رسوله بالمسير إلى بني قريظة

قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة، والمُسْلِمُونَ، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ.

غزوة بني قريظة في سنة خمس

فلما كانت الظهر أتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ - كما حدثني الزُّهْرِيُّ - مُتَعَجِّراً بعمامة^(٢) مِنْ إِسْتَبْرَقٍ على بغلة عليها رِحَالَةٌ^(٣) عليها قُطَيْفَةٌ من دِيبَاجٍ، فقال: أَوْ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «نَعَمْ»، فقال جبريل: فَمَا وَضَعْتَ أَلْمَلَانِكَةَ السِّلَاحَ

[٧٢٥] أخرجه أحمد (٣٩٢/٥ - ٣٩٣)، والطبري في تاريخه (٥٧٩/٢ - ٥٨٠) وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١٣٠/٤) كلهم من طريق ابن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي به - وقال ابن كثير: وهذا منقطع من هذا الوجه.

قلت: والانقطاع بين محمد بن كعب وحذيفة فإنه لم يسمع منه. وللحديث شاهد. أخرجه مسلم في صحيحه (٣٨٥/٦) - كتاب الجهاد والسير (٣٢) - باب غزوة الأحزاب - (١٧٨٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٤٨/٩ - ١٤٩) وفي الدلائل (٤٤٩/٣ - ٤٥٠) وأبو نعيم في الحلية (٣٥٤/١) من طريق إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة... وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣١/٣) من طريق يوسف بن عبد الله بن أبي بردة عن موسى ابن المختار عن بلال العبسي عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أن الناس تفرقوا عن رسول الله ﷺ ليلة الأحزاب... وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ورافقه الذهبي.

- (١) في مِرْطٍ لِبَعْضِ نَسَائِهِ: المِرْطُ: الكِساء.
- (٢) مُتَعَجِّراً بعمامة، الاعْتِجَازُ: أن يَتَعَمَّم الرجلُ دون تَلْحُج، أي: لا يُلقِي مِنهَا ثُحْتَ لِخَبِيئَتِهِ شَيْئاً، والإِسْتَبْرَقُ: ضَرْبٌ مِنَ الدِّيَبَاجِ غَلِيظٌ.
- (٣) الرِّحَالَةُ: مِنَ بَعْضِ مَرَاكِبِ الإِبِلِ، والرِّحَالَةُ: السَّرِجُ أَيْضاً.

بَعْدُ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالسير (١٩٦/ب) إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم، فمزلزل بهم، فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: «مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا بَيْنِي قُرَيْظَةَ» واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم؛ فيما قال ابن هشام [٧٢٦].

علي بن أبي طالب يتقدم براءة رسول الله

قال ابن إسحاق: وَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِرَايَتِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، وَابْتَدَرَهَا النَّاسُ، فَسَارَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَ الْحُصُونِ سَمِعَ مِنْهَا مَقَالَةَ قَبِيحَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالطَّرِيقِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا عَلَيْكَ أَلَّا تَذُنُوَ مِنْ هَوْلَاءِ الْأَخَابِيثِ، قَالَ: «لِمَ؟ أَطُنُّكَ سَمِعْتَ مِنْهُمْ لِي أَدَى؟!» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَوْ رَأَوْنِي لَمْ يَقُولُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً» فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم، قال: «يَا إِخْوَانَ الْقِرْدَةِ، هَلْ أَخْرَاكُمُ اللَّهُ وَأَنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ؟!» قالوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، مَا كُنْتَ جَهُولاً، وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَنْغِرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالصُّورَيْنِ^(١) قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَقَالَ: «هَلْ مَرَّ بِكُمْ أَحَدٌ؟» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ مَرَّ بَنَا دِحْيَةُ بْنُ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ عَلَى بَغْلَةٍ بِيضَاءَ عَلَيْهَا رِحَالُهُ عَلَيْهَا قَطِيفَةٌ دِيبَاجٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ جَبْرِيلُ بُعِثَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلِّزُ لِرَسُولِهِمْ حُصُونَهُمْ وَيَقْدِفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ».

ولما أتى رسول الله ﷺ بني قُرَيْظَةَ، نَزَلَ عَلَى بَيْتٍ مِنْ أَبَارِهَا مِنْ نَاحِيَةِ أَمْوَالِهِمْ يُقَالُ لَهَا: بَيْتُ أَنَا [٧٢٧].

قال ابن هشام: بَيْتُ أُنَى.

قال ابن إسحاق: وَتَلَاخَقَ بِهِ النَّاسُ، فَآتَى رِجَالَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَمْ

[٧٢٦] أخرجه الطبري في تاريخه (٥٨/٢ - ٥٩)، وفي تفسيره (٢٨٤/١٠) (٢٨٤٤٥). وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (١٣٣/٤ - ١٣٤) من طريق ابن إسحاق عن الزهري مرسلًا... ومراسيل الزهري كما تقدم ضعيفة، ولكن الحديث صحيح.

أخرجه البخاري (١٦٧/٨) - كتاب المغازي (٦٤) - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٤١١٧) ومسلم (٣٣٦/٦) - كتاب الجهاد والسير (٣٢) - باب جواز قتال من نقض العهد (١٧٦٩) وأحمد (٥٦/٦ - ١٤١ - ١٤٢)، والبيهقي في الدلائل (٥/٤) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي ﷺ من الخندق...

[٧٢٧] ينظر الحديث السابق.

(١) بالصُّورَيْنِ: هو موضع.

يُصَلُّوا الْعَصْرَ؛ لقول رسول الله ﷺ: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدَ الْعَصْرِ إِلَّا بِبَنِي قُرَيْظَةَ» فَسَعَلَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْهُ بُدٌّ فِي حَرْبِهِمْ، وَأَبَوْا أَنْ يُصَلُّوا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَأْتُوا بَنِي قُرَيْظَةَ، فَصَلُّوا الْعَصْرَ بِهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَمَا عَابَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، وَلَا عَنَّفَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ مَعْبُدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ الْأَنْصَارِيِّ [٧٢٨].

حصار رسول الله في قريظة

وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة^(١) حتى جهدهم الحصارُ وقذف الله في قلوبهم الرُّعبَ؛ وقد كان حَيُّيُّ بْنُ أَخْطَبَ دَخَلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي حِصْنِهِمْ - حِينَ رَجَعَتْ عَنْهُمْ قُرَيْشٌ وَعَطْفَانٌ - وَفَاءً لِكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ بِمَا كَانَ عَاهَدَهُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَيْقَنُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عَنْهُمْ حَتَّى يُتَاجَزَهُمْ.

نصيحة كعب بن أسد لقومه بني قريظة

قال كعب بن أسد لهم: يا معشرَ يهود، قد نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنِّي عَارِضٌ عَلَيْكُمْ خِلَالًا ثَلَاثًا، فَخَذُوا أَيُّهَا سُنْتُمْ، قَالُوا: وَمَاهِي؟ قَالَ: نَتَابِعُ هَذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ،

[٧٢٨] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٢/٢) من طريق ابن إسحاق به، وقوله ﷺ: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدَ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ». حديث صحيح.

وأخرجه البخاري (٤٧١/٧) كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ حديث (٤١١٩) ومسلم (٣/١٣٩١) كتاب الجهاد: باب المبادرة بالفزوة حديث (١٧٧٠/٦٩) من حديث ابن عمر.

وقال الحافظ في «الفتح» (٤٧١/٧) قوله: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدَ الْعَصْرِ... كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ، وَوَقَعَ فِي جَمِيعِ النُّسخِ عِنْدَ مُسْلِمِ الظَّهَرِ، مَعَ اتِّفَاقِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمِ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنِ شَيْخِ وَاحِدٍ بِإِسْنَادٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ وَافَقَ مُسْلِمًا أَبُو يَعْلَى وَآخَرُونَ، وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنِ أَبِي عَتَبَانَ عَنِ جُوَيْرِيَةَ بَلْفِظِ الظَّهَرِ وَابْنِ حِبَانَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَتَبَانَ، كَذَلِكَ وَلَمْ أَرَهُ مِنْ رِوَايَةِ جُوَيْرِيَةَ إِلَّا بَلْفِظِ الظَّهَرِ، غَيْرَ أَنَّ أَبَا نَعِيمٍ فِي «الْمُسْتَدْرَجِ» أَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَفْصِ السَّلْمِيِّ عَنِ جُوَيْرِيَةَ، فَقَالَ: الْعَصْرُ، وَأَمَّا أَصْحَابُ الْمَغَازِي فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا الْعَصْرُ.

(١) اختلف في مدة إقامة المشركين على الخندق؛ فقال سعيد بن المسيب في رواية يحيى بن سعيد:

أقاموا أربعاً وعشرين ليلة، وقال في رواية الزُّهْرِيِّ: بضع عشرة ليلة.

وروى محمد بن عمر عن جابر بن عبد الله أنها كانت عشرين يوماً.

وقال محمد بن عمر: أثبت الأقاويل أنها كانت خمسة عشر يوماً، وجزم به ابن سعد والبلاذري والنووي في الروضة والقطب.

وقال في زاد المعاد: شهراً، وقال ابن إسحاق: بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر. ينظر: السبل (٣٩٧/٤).

فوالله لقد تبين لكم انه لثبي مرسَل، وانه للذي تجدونه في كتابكم؛ فتأمنون على دمايتكم وأموالكم وأبائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حُكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم علي هذه فهلتم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مضليين السيوف^(١) لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا تسلاً نخشى عليه، وإن تظهر فلعمري لتجدن النساء (١٩٧/أ) والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير العيش بعدهم؟! قال: فإن أبيتم علي هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أموتوا فيها، فانزلوا لعنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، قالوا: نفيد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ، قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً [٧٢٩].

شأن أبي لبابة واستشارة يهود إياه، وتوبته بعد ذلك

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن أبعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو ابن عوف، وكانوا حلفاء الأوس؛ لئلا نستشير في أمرنا، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان^(٢) في وجهه، فرق لهم، وقالوا له: يا أبا لبابة، أتري أن نزل على حُكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى خلقه، إنه الذئب، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خئت لله ورسوله ﷺ ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عموده^(٣)، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت، وأعاهد الله ألا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خئت لله ورسوله فيه أبداً [٧٣٠].

قال ابن هشام: فأنزل الله تعالى في أبي لبابة فيما قال سفيان بن عيينة، عن إسماعيل

[٧٢٩] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٣/٢ - ٥٨٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٥/٤ - ١٦) كلاهما عن ابن إسحاق.

[٧٣٠] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٤/٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١٦/٤) من طريق ابن إسحاق. وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٣) و«البداية والنهاية» (١٤٠/٤) و«سبل الهدى والرشاد» (٨/٥).

(١) مضليين السيوف، أي: مجردين لها، يقال: أضلت سيفه من غمده: إذا جرده.

(٢) يقال: جهش الرجل وأجهش: إذا تهناً للبكاء.

(٣) إلى عمود من عمود، العمود، هنا: السارية، وعمد المسجد: سواره.

ابن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي قتادة ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّنُوا
 أَمَنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] [٧٣١].

قال ابن إسحاق: فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره - وكان قد استبطأه - قال: «أما إنه لو
 جاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله
 عليه» [٧٣٢].

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط أن توبة أبي لُبَابَةَ نزلت على
 رسول الله ﷺ من السَّحَرِ، وهو في بيت أم سلمة، قالت أم سلمة - رضي الله عنها -
 فسمعت رسول الله ﷺ من السَّحَرِ وهو يضحك، قالت: فقلت: مِمَّ تضحك يا رسول
 الله، أضحك الله سنك؟ قال «يب علي أبي لُبَابَةَ» قالت: فقلت: أفلا أبشره يا رسول الله؟
 قال: «بلى، إن شئت» قال: فقامت على باب حُجْرَتِهَا - وذلك قبل أن يضرب عليهن
 الحجاب - فقالت: يا أبا لُبَابَةَ، أبشز فقد تاب الله عليك، قال: فتار الناس إليه ليطلقوه،
 فقال: لا والله، حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مر عليه رسول
 الله ﷺ خارجاً إلى صلاة الصبح، أطلقه [٧٣٣].

قال ابن هشام: أقام أبو لُبَابَةَ مُزْتَبِطاً بِالْجِدْعِ سِتَّ لَيَالٍ، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة
 فتحله للصلاة، ثم يعود، فيرتبط بالجدع، فيما حدثني بعض أهل العلم؛ والآية التي نزلت
 في توبته قول الله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَنِ اللَّهِ أَنْ
 يُتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] [٧٣٤].

[٧٣١] أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤٦/٩) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٧٨/٣) وزاد نسبه إلى
 سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
 وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣٨/٤) وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٨/٥).
 [٧٣٢] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٩٦/٢١ - ٩٧) من طريق ابن إسحاق.
 [٧٣٣] إسناده ضعيف؛ لإرساله، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٥/٢ - ٥٨٦) والبيهقي في «الدلائل»
 (١٧/٤) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
 وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣٨/٤) عن ابن إسحاق. وينظر «سبل الهدى
 والرشاد» (٩/٥).
 [٧٣٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣٨/٤) عن ابن هشام.
 وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٨/٥).

إسلام جماعة عن بني هدل

قال ابن إسحاق: ثم إن ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد - وهم نفر من بني هدل، ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم - أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حُكم رسول الله ﷺ.

أمر عمرو بن سعدى القرظي

خرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة، فلما رآه قال من هذا؟ قال: أنا (ب/١٩٧) عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدرُ بمحمدٍ أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهم لا تخرمني إقالة عشرات الكرام، ثم خلني سبيله، فخرج على وجهه، حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: «ذاك رجلٌ نجاه الله بوفائه» وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق برمة^(١) فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ فأصبحت رُمته ملقاة ولا يدرى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة، والله أعلم أي ذلك كان.

بنو قريظة تنزل على حكم رسول الله فيحكم فيهم سعد بن معاذ

فلما أصبحوا نزلوا على حُكم رسول الله ﷺ فتوالت الأوس فقالوا: يا رسول الله ﷺ إنهم كانوا موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي إخواننا بالأوس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة قد حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حُكميه، فسأله إياهم عند الله بن أبي بن سلول، فوهبهم له، فلما كلمته الأوس قال رسول الله ﷺ: «ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟» قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: «فذاك إلى سعد بن معاذ» وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها: ربيعة في مسجده، كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين، وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذقي: «أجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب» فلما حكمه رسول الله ﷺ في بني قريظة أتاه قومه فحملوه على جمارٍ قد وطئوا له بوسادة من آدم، وكان رجلاً جسيماً جميلاً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون: يا أبا عمرو،

(١) الرمة: الحبل البالي، وبه لقب ذو الرمة الشاعر.

أَحْسِنَ فِي مَوَالِيكَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا وَلَّاكَ ذَلِكَ؛ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ: لَقَدْ أَتَى لَسْعِدٍ أَنْ لَا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأْتَمَّ، فَرَجَعَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَتَعَى لَهُمْ رِجَالُ بَنِي قُرَيْظَةَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِمْ سَعْدٌ؛ عَنْ كَلِمَتِهِ الَّتِي سَمِعَ مِنْهُ [٧٣٥].

حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه

فلما انتهى سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ» فَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ فَيَقُولُونَ: إِنَّمَا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْأَنْصَارَ، وَأَمَّا الْأَنْصَارُ فَيَقُولُونَ: قَدْ عَمَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَبَا عَمْرٍو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ مَوَالِيكَ لِتُحْكَمَ فِيهِمْ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ: عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ إِنَّ الْحُكْمَ فِيهِمْ لَمَّا حَكَمْتُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: وَعَلَى مَنْ هَهُنَا؟ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مَعْرُضٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِجْلَالًا لَهُ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «نَعَمْ» قَالَ سَعْدٌ: فَإِنِّي أَخْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقَسَّمِ الْأَمْوَالُ، وَتُسَبِّى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ!! [٧٣٦].

[٧٣٥] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٥/٢ - ٥٨٧) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣١/٤ - ٣٢) كلاهما عن ابن إسحاق وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٤ - ٢٠٥) وأسد الغابة (١/ ٤٦٨) و«البداية والنهاية» (١٤٠/٤ - ١٤١) و«سبل الهدى والرشاد» (٩/٥ - ١٠).

[٧٣٦] ورد هذا من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة.

حديث أبي سعيد الخدري:

أخرجه البخاري (٢٧٦/٦ - ٢٧٧) كتاب الجهاد والسير: باب إذا نزل العدو على حكم رجل حديث (٣٠٤٣) وأطرافه في (٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢) ومسلم (١٣٨٨/٣ - ١٣٨٩) كتاب الجهاد والسير باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب حديث (١٧٦٨/٦٤) وأبو داود (٣٥٥/٤) كتاب الأدب باب ما جاء في القيام حديث (٥٢١٥، ٥٢١٦) وأحمد (٢٢/٣، ٧١) وأبو يعلى (١١٨٨) وابن حبان (٧٠٢٦) والنسائي في «فضائل الصحابة» (١١٨) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤٢٤/٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٧/٦ - ٥٨) وفي «دلائل النبوة» (١٨/٤) والطبراني في «الكبير» (٥٣٢٣).

أما حديث عائشة:

أخرجه البخاري (١٣١/٢) كتاب الصلاة: باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم حديث (٤٦٣) وأطرافه في (٢٨١٣، ٣٩٠١، ٤١١٧، ٤١٢٢) ومسلم (١٣٨٩/٣) كتاب الجهاد: باب جواز قتال من نقض العهد حديث (١٧٦٩/٦٥) وأبو داود (١٨٦/٣) كتاب الجنائز: باب في العيادة مراراً، حديث (٣١٠١) والنسائي (٤٥/٢) كتاب المساجد: باب ضرب الخباء في المسجد، وأحمد (٦/ ٥٦) وابن حبان (٧٠٢٧) وابن سعد (٤٢٥/٣) كلهم من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة، عن (١٩٨/أ) عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ»^(١) [٧٣٧].

قال ابن هشام: حدثني بعض من أتق به من أهل العلم، أن علي بن أبي طالب صاح وَهُمْ مُحَاصِرُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ: يَا كَتِيبَةَ الْإِيمَانِ، وَتَقَدَّمَ هُوَ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَذُوقَنَّ مَا ذَاقَ حَمْرَةَ أَوْ لَأَفْتَحَنَّ جِصْنَئَهُمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ تَنْزِلُ عَلَيَّ حُكْمَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ. [٧٣٨].

تنفيذ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحرث امرأة من بني النجار، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم، فحندق بها خنادق، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق: يُخْرَجُ بِهِمْ إِلَيْهِ أَرْسَالًا^(٢)، وفيهم عدو الله حبيي بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم سبعمائة أو سبعمائة، والمكثرو لهم يقول: كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالا: يا كعب، ما تراه يصنع بنا؟ قال: أفي كل موطن لا تغفلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب به منكم لا يرجع؟! هو والله القتل؛ فلم يزال ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ.

شان حبيي بن أخطب

وأبي يحيى بن أخطب عدو الله وعليه حلة له ففاجئة^(٣) (قال ابن هشام: ففاجئة:

[٧٣٧] إسناده مرسل.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٨/٢) ومن «تفسيره» (٩٧/٢١) من طريق ابن إسحاق به، لكن الحديث ثابت من حديث أبي سعيد الخدري وعائشة، وقد تقدما.

[٧٣٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣٩/٤) عن ابن هشام.

(١) الأرقعة هنا: السموات واجدها: رقيق، وسميت بذلك؛ لأن بعضها كان يزقع بعضها. وبعضهم يجعل الرقيق سماء الدنيا لا غير، وكأنها رقت بالنجوم. وهذا الحديث يدل على عموم التسمية بها.

(٢) أرسالا، أي: طائفة بعد طائفة.

(٣) ففاجئة، أي: تضرب إلى الخمرة.

ضَرَبَ مِنَ الْوَشِيِّ) قَدْ شَقَّهَا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَدْرَ أُنْمَلَةٍ^(١)؛ لَيْلًا يُسَلِّبُهَا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِحَبْلِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا لُمْتُ نَفْسِي فِي عَدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يَخْذُلْ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّهِ كِتَابٌ وَقَدْرٌ وَمَلْحَمَةٌ كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَلَسَ فَضَرَبَتْ عُنُقَهُ؛ فَقَالَ جَبَلُ بْنُ جَوَالِ الثُّغَلْيِيِّ^(٢) [مِن الطَّوِيلِ]:

لَعَمْرُكَ مَا لَأَمْ ابْنُ أَخْطَبٍ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهَ يَخْذُلِ
لَجَاهِدَ حَتَّى أَبْلَعَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلْقَلْ بَيْنِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلِقِلِ [٧٣٩] ^(٣).

لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محمد بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: لَمْ يُقْتَلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ^(٤)، قَالَتْ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لِعِنْدِي تَحَدَّثْتُ مَعِيَ تَضْحَكُ ظَهْرًا وَبَطْنًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رِجَالَهَا فِي السُّوقِ؛ إِذْ هَتَفَ هَاتِفٌ بِاسْمِهَا: أَيْنَ فُلَانَةُ؟ قَالَتْ: أَنَا وَاللَّهِ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهَا: وَيْلَكَ مَالِكُ؟! قَالَتْ: أَقْتُلُ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: لِحَدِيثِ أَحَدِثِهِ قَالَتْ: فَأَنْطَلِقُ بِهَا فَضَرَبْتُ عُنُقَهَا، فَكَانَتْ عَائِشَةَ تَقُولُ: فَوَاللَّهِ مَا أُنْسَى عَجَبًا مِنْهَا طِيبَ نَفْسِهَا وَكَثْرَةَ ضَحِكِهَا وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّهَا تُقْتَلُ [٧٤٠].

قال ابن هشام: وهي التي طَرَحَتِ الرَّحَا عَلَى خَلَادِ بْنِ سُوَيْدٍ فَقَتَلَتْهُ.

[٧٣٩] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٨/٢ - ٥٨٩) والبيهقي في «الدلائل» (٢٢/٤ - ٢٣) كلاهما من طريق ابن إسحاق.

وذكره ابن كثير في «البدية والنهاية» (١٤٢/٤ - ١٤٣) عن ابن إسحاق.

[٧٤٠] إسناده حسن

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٩/٢) والحاكم (٣٥/٢ - ٣٦) من طريق ابن إسحاق به، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، قلت: وهو وهم من الحاكم رحمه الله حيث إن مسلماً لم يخرج لمحمد بن إسحاق احتجاجاً إنما أخرج له في الشواهد والمتابعات.

(١) الْأُنْمَلَةُ: طَرَفُ الإصْبَعِ، وَقَدْ تُسَمَّى الأَصَابِعُ كُلُّهَا أُنَامِلَ.

(٢) قال الشيخ أبو ذر الخشني: جَبَلُ بْنُ جَوَالِ الثُّغَلْيِيِّ: هُوَ هُنَا بِالنَّاءِ الْمُثَلَّثَةِ وَالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَهُوَ مِنْ بَنِي ثَغَلْبَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذُبْيَانَ بْنِ بَعْضِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَطْفَانَ. قَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ. قَالَ أَبُو عبيد: كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ.

(٣) قَلْقَلْ، مَعْنَاهُ: تَحَرُّكٌ وَسَارَ. يَنْظُرُ الْبَدَايَةَ وَالنَّهَايَةَ (١٤٣/٤).

(٤) قال الشيخ أبو ذر الخشني: اسم هذه المرأة التي ضَرَبَتْ عُنُقَهَا بُنَانَةٌ وَهِيَ امْرَأَةُ الْحَسَنِ الْقَرْظِيِّ، كَانَتْ قَدْ أَلْقَتْ رَحَى عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَطْمٍ مِنَ الْأَطَامِ فَقَتَلَتْهُ.

شأن الزبير بن باطا القرظي

قال ابن إسحاق: وقد كان ثابت بن قيس بن شماس - فيما ذكر لي ابن شهاب الزهري - أتي الزبير بن باطا القرظي - وكان يكنى أبا عبد الرحمن، وكان الزبير قد منّ عليه على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية، وذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان قد منّ عليه يوم بُعث، أخذهُ فَجَرَّ ناصيته ثم خَلَى سبيله (١٩٨/ب) فجاءه ثابت وهو شيخ كبير، فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل تعرفني؟ قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟ قال: إني قد أزدت أن أجزيك بيدك عندي؛ قال: إن الكريم يجزي الكريم، ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه قد كانت للزبير عليّ مئة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه، فقال رسول الله ﷺ: «هُوَ لَكَ» فأتاه، فقال: إن رسول الله ﷺ قد وهب لي دمك فهو لك، قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة؟! قال: فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، هب لي امرأته وولده، قال: «هُم لَكَ» قال: فأتاه، فقال: قد وهب لي رسول الله ﷺ أهلَكَ وولدَكَ، فهم لك، قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟! فأتى ثابت رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ماله؟! قال «هُوَ لَكَ» فأتاه ثابت فقال: قد أعطاني رسول الله ﷺ مالاً فهو لك، قال: أتي ثابت ما فعل الذي كأن وجهه مראה صينية يترأى فيها عذارى الحي كعب ابن أسيد؟ قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حبي بن أخطب؟ قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شدذنا وحاميتنا إذا فرزنا عزال بن سموال؟ قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان؟ يعني: بني كعب بن قريظة وبنو عمرو بن قريظة، قال: ذهبوا قتلوا، قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فئلة ذلوا ناصح^(١) حتى ألقى الأجابة، فقدمه ثابت فضرِب عنقه، فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله ألقى الأجابة، قال: يلقاهم والله في نار جهنم خالداً فيها مخلداً [٧٤١].

[٧٤١] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٨٩/٢ - ٥٩٠) والبيهقي في «دلائل» (٢٣/٤ - ٢٥) كلاهما عن ابن =

(١) قال الشيخ أبو ذر: الناصح: الجمَل الذي يُسَخَّرُ عليه الماء من البئر بالسانية. وأراد بقوله: فئلة ذلوا ناصح: ومقدار ما يأخذ الرجل الدلو إذا خرّجت فيضها في الحوض ثم يقبلها أو يردها إلى موضعها، ومن رواه: فئلة بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو فيضها في الحوض ثم يضرها، وهذا كله لا يكون إلا عن استنجال وسزعة.

قال ابن هشام: قَلَّةٌ ذُلُوٌّ نَاضِحٌ، وقال زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلْمَى فِي قَبْلَةِ [مِنَ الْبَسِيطِ]:
وَقَابِلٌ يَتَعَنَّيْ كُلَّمَا قَدَّرَتْ عَلَى الْعِرَاقِي يَدَاهُ قَائِمًا دَفْعًا^(١)
وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: وَيَزُوِي: «وَقَابِلٌ يَتَلَقَّى» يعني: قابل الدلو يتناول [٧٤٢].

شأن عطية القرظي ورفاعة بن سموال

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ [٧٤٣].

قال ابن إسحاق: وحدثني شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، عن عبد الملك بن عُمَيْرٍ، عن عطية القرظي، قال: كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يُقْتَلَ مِنْ بَنِي قَرِظَةَ كُلُّ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ، وَكُنْتُ غَلَامًا، فوجدوني لم أنبث، فَحَلَّوْا سَبِيلِي [٧٤٤]، قال: وحدثني أيوب بن عبد

= إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٣/٤).

وينظر «سبل الهدى والرشاد» (١٤/٥ - ١٥) وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٠/٤) عن موسى بن عقبة.

[٧٤٢] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٣/٤ - ١٤٤) عن ابن هشام.

[٧٤٣] ذكره الطبري في «تفسيره» (٥٩١/٢) و«دلائل النبوة» (٢٤/٤) و«البداية والنهاية» (١٤٤/٤).

[٧٤٤] أخرجه أبو داود (٥٤٦/٢) كتاب الحدود: باب في الغلام يصيب الحد حديث (٤٤٠٤، ٤٤٠٥) والترمذي (١٢٣/٤) كتاب السير: باب ما جاء في النزول على الحكم حديث (١٥٨٤) والنسائي (١٥٥/٦) كتاب الطلاق: باب متى يقع طلاق الصبي (٩٢/٨) كتاب قطع السارق: باب حد البلوغ، وذكر السن التي إذا بلغها الرجل أقيم عليه الحد، وابن ماجه (٨٤٩/٢) كتاب الحدود: باب من لا يجب عليه الحد - حديث (٢٥٤١، ٢٥٤٢) وأحمد (٣١/٤، ٣٨٣، ٣١١/٥) والحميدي (٣٩٤/٢) رقم (٨٨٨) والدرامي (٢٢٣/٢) كتاب السير: باب حد الصبي متى يقتل، والحاكم: باب البلوغ بالإنبات، كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير عن عطية القرظي به. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: حديث رواه جماعة من أئمة المسلمين عن عبد الملك بن عمير ولم يخرجاه، كأنهما لم يتأملا متابعة مجاهد بن جبر عبد الملك على روايته عن عطية القرظي.

ثم أخرجه (١٢٣/٢) من هذا الطريق، وقال: فصار الحديث بمتابعة مجاهد صحيحاً على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(١) الْقَابِلُ هُنَا: الَّذِي يَقْبَلُ الذَّلُوَّ، وَالْعِرَاقِي: جَمْعُ عِرْقَوَّةٍ وَهُوَ الْعُودُ الَّذِي يَكُونُ فِي أَدْنَى الذَّلُوِّ، وَدَفَعَ الْمَاءَ، أَيْ: ضَبَّهُ.

وينظر ديوانه ص (٤٠)، ولسان العرب (٤٥٢/١١) (قبل) وتاج العروس (قبل)، وجمهرة اللغة ص (٣٧٢)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٣٥/٥).

الرحمن بن عبد الله بن أبي صَغَصَمَةَ أخو بني عدي بن الثَّجَارِ، أَنَّ سَلْمَى بنتَ قيس أمِّ المُنْدِرِ أخت سليط بن قَيْسٍ، وكانتْ إِحْدَى خالاتِ رسولِ الله ﷺ قد صَلَّتْ معه القبليتين وبابعته بِنَعَّةِ النِّسَاءِ؛ سألتَه رِفَاعَةَ بِنَ سَمَوَالِ القُرْظِيَّ، وكان رجلاً قد بَلَغَ فَلَادَ بها^(١)، وكان يَغْرِفُهُمْ قبل ذلك، فقالتْ، يا نَبِيَّ الله، بأبي أنتَ وأمي، هَبْ لي رِفَاعَةَ؛ فإنه قد زعم أنه سَيُصَلِّي، ويَأْكُلُ لَحْمَ الجَمَلِ، قال: فوهبه لها، فاستَحْيَيْتُهُ [٧٤٥].

رسول الله يقسم في بني قريظة

قال ابن إسحاق: ثُمَّ إنَّ رسولَ الله ﷺ قَسَمَ أَمْوَالَ بني قُرَيْظَةَ ونِسَاءَهُمْ وأبناءَهُم على المسلمين، وأَعْلَمَ في ذلك اليوم (١/١٩٩) سُهْمَانَ الخَيْلِ وسُهْمَانَ الرجالِ، وأَخْرَجَ منها الخُمْسَ؛ فكان للْفَارِسِ ثلاثةُ أسهمٍ، للفرسِ سُهْمَانِ، ولْفارسه سُهْمَمٌ، وللراجلِ - مَنْ لَيْسَ له فرسٌ - سُهْمَمٌ، وكانت الخَيْلُ يَوْمَ بني قُرَيْظَةَ سِتَّةً وثلاثينَ فرساً، وكان أولُ فَيءٍ وَقَعَتْ فيه السُّهْمَانُ وأَخْرَجَ منه الخُمْسُ؛ فعلى سُنَّتِها وما مَضَى من رسولِ الله ﷺ فيها وَقَعَتْ المَقَاسِمُ ومَضَّتِ السُّنَّةُ في المغازي.

ثم بعث رسولُ الله ﷺ سَعْدَ بْنَ زَيْدِ الأنصاريَّ أخا بني عبد الأشهلِ بسبَايَا مِنْ سَبَايَا بني قُرَيْظَةَ إلى نَجْدِ، فابتاع لهم بها خَيْلاً وسِلَاحاً.

شأن ريحانة بنت عمرو القرظية مع رسول الله

وكان رسولُ ﷺ قد أَصْطَفَى لنفسه مِنْ نِسَائِهِم رِيحَانَةَ بنتَ عَمْرِو إِحْدَى بني عمرو بن قُرَيْظَةَ، فكانت عند رسولِ الله ﷺ حتى تُوْفِيَ عنها وهي في مِلْكِهِ، وقد كان رسولُ الله ﷺ عَرَضَ عليها أن يتزوَّجَهَا وَيَضْرِبَ عليها الحِجَابَ، فقالتْ، يا رسولَ اللهِ، بل تَتْرُكْنِي في مِلْكِكَ فَهوَ أَحْفَ عَليَّ وعليكِ، فَتَرَكَهَا، وقد كانتْ حين سبأها قد تَعَصَّتْ بالإسلامِ وأَبَتْ إلا اليهوديَّةَ، فعزلها رسولُ اللهِ ﷺ وَوَجَدَ في نفسه لذلك من أمرها، فَبَيَّنَّا هو مع أصحابه إِذ سَمِعَ وَقَعَ تَعْلِينَ خَلْفَهُ، فقال: «إِنَّ هَذَا لَتُعْلَبَةُ بِنُ سَعْيَةَ يُبَشِّرُنِي بِإِسْلَامِ رِيحَانَةَ» فجاءه، فقال: يا رسولَ اللهِ، قد أَسْلَمْتُ رِيحَانَةَ، فَسَرَّهُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ [٧٤٦].

[٧٤٥] إسناده ضعيف؛ لإرساله.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٩١/٢) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٤/٤) عن ابن إسحاق.

وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٦ - ٢٠٧).

[٧٤٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٩١/٢ - ٥٩٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٤/٤ - ٢٥) كلاهما =

(١) لآذ بها، أي: لَصَقَ بها ولجأ إليها.

نزول قصة الخندق وبنى قريظة في القرآن

قال ابن إسحاق: وأنزل الله تعالى في أمر الخندق وأمر بني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب؛ يذكر فيها ما نزل من البلاء، ونعمته عليهم، وكفايته إياهم حين فرج الله ذلك عنهم بعد مقالة من قال من أهل النفاق. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ والجنود: قريش وعطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة [٧٤٧]، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ رَأَعَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ فالذين جاءوهم من فوقهم: بنو قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وعطفان [٧٤٨] يقول الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾؛ لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال [٧٤٩] ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَسَتَقَدِرُنَّ قَرِينٌ مِّنْهُمْ لِيَقُولَنَّ إِنَّا بِيُوتِنَا عَوَدَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْدَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾؛ لقول أوس بن قبيط ومن كان على مثل رأيه من قومه [٧٥٠] ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ أي: المدينة.

قال ابن هشام: الأقطار الجوانب، واحداها: قُطر، وهي الأقتار، واحداها: قتر؛ قال الفرزدق [من الكامل]:

كَمْ مِنْ غِنَى فَتَحَ الْإِلَهَ لَهُمْ بِهِ وَالْخَيْلُ مُفْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ^(١)

ويروى «على الأقتار» وهذا البيت في قصيدة له.

= من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢٠٧) و«سبل الهدى والرشاد» (١٦/٥).

[٧٤٧] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٦٤/١٠) رقم (٢٨٣٦٦) من طريق ابن إسحاق قال: ثنى يزيد بن رومان به.

[٧٤٨] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٦٦/١٠ - ٢٦٧) رقم (٢٨٣٧٠) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن رومان.

[٧٤٩] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٦٨/١٠) رقم (٢٨٣٧٥) من طريق محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان.

[٧٥٠] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧٠/١٠) رقم (٢٨٣٨٠) عن ابن إسحاق.

(١) الخيل مُفْعِيَةٌ عَلَى الْأَقْطَارِ، أراد: أنها ساقطة على أجنابها تروم القيام كما تُفْعِي الْكِلَابَ عَلَى أذْنَابِهَا وَأَقْطَارِهَا. وينظر ديوانه ص (٢٦٥) وفيه «الأقتار» بدل «الأقطار».

﴿ثُمَّ سِئَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أي: الرجوع إلى الشرك، ﴿لَا تَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَيْرًا﴾ (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْتُواكَ الْأَذْبُرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ فهم بنو حارثة، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بني سلمة حين هممتا بالفشل يوم أحد، ثم عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها أبداً، فذكر لهم الله الذي أعطوا من أنفسهم، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَفْعَلَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِنَّا لَا نَتَمَنَّوْنَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكَ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِنْ ذُرِيَةِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴿١﴾ أي: أهل النفاق، ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ أي: إلا دفعاً وتعديراً (٢)، ﴿أَيْحَتَّةَ عَيْتِكُمْ﴾ أي: للضغن (٣) الذي في أنفسهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: إعظماً له وفرقاً منه، ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْحَوْفُ سَلَفْتُمْ بِالْمَسِيئَةِ جَدًّا﴾ أي: في القول بما لا تحبون؛ لأنهم لا يرجون آخرة ولا تحملهم حسبة؛ فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

قال ابن هشام: سَلَفْتُمْ: بالغوا فيكم بالكلام فأحرقوكم وآذوكم؛ تقول العرب: خَطِيبٌ سَلَأٌ وخَطِيبٌ مِسْلَقٌ [ومِسْلَقٌ]؛ قال أعشى بني قيس بن ثعلبة [من الخفيف]:
 فِيهِمُ الْمَجْدُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْدُ دَعَا فِيهِمْ وَالْخَاطِبُ السَّلَأِيُّ (٤)

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿يَحْسِرُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قريش وعطفان [٧٥١]، ﴿وَإِنْ بَأَتِ الْأَحْزَابُ يَوْمَئِذٍ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوتُ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتُ عَنْ أَهْبَابِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَسَلُوا إِلَّا قَلِيلاً﴾ ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: ليلاً يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به، ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء؛ ليختبرهم به، فقال: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢) أي: صبراً على البلاء،

[٧٥١] أخرجه الطبري في "تفسيره" (٢٧٦/١٠) عن ابن إسحاق.

- (١) الْمُعَوِّقِينَ: هو هنا جمع معوق وهو الذي يُنْسِكُ صاحبه عن وجهه الذي يُريد أو يُفْسِدُ نيته في قضيده، يقال: عاقني عن الأمر وعوقني إذا أمسكني عنه وحسني.
- (٢) دَفْعًا وَتَعْدِيرًا. والتعدير: أن يفعل الرجل الشيء بغير نيته، وإنما يريد أن يُقيم به العذر عند من يراه.
- (٣) الضَّغْنُ: الغداوة.
- (٤) ويروى في هذا البيت «الحزم» بدل «المجد» ينظر ديوانه ص (٢٦٥)، ولسان العرب (١٠/١٦٠) (سلي)، وتهذيب اللغة (٨/٤٠٢)، وديوان الأدب (١/٣٢٩)، تاج العروس (٢٥/٤٥٨) (سلي).

وتسليماً للقضاء، وتصديقاً للحق لما كان وَعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ﷺ [٧٥٢] ثم قال: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَى نَحْبَهُ ﴿١﴾ أَي: فَرَعَ مِنْ عَمَلِهِ، وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، كَمَنْ أَسْتَشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ [٧٥٣].

تفسير النخب

قال ابن هشام: قَضَى نَحْبَهُ: مات، والنَّحْبُ: النَّفْسُ؛ فيما أخبرني أبو عبيدة، وجمعه نُحُوبٌ؛ قال ذو الرُّمَّة [من الطويل]:

عَشِيَّةَ فَرِّ الْحَارِثِيِّونَ بَعْدَ مَا قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى الْحَيْلِ هَوْبَرٍ^(١)
وهذا البيت في قصيدة له، وهَوْبَرٌ، من بني الحرث بن كعب، أراد يزيد بن هَوْبَرٍ،
والتَّحْبُ أيضاً: التَّذْرُ؛ قال جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ [من الطويل]:

بِطُخْفَةٍ جَالِدْنَا الْمُلُوكَ وَحَيْلِنَا عَشِيَّةَ بِسَطَّامٍ جَرَيْنَ عَلَيَّ نَحْبٍ^(٢)
يقول: على نَذْرٍ كَانَتْ نَذَرْتُ أَنْ تَقْتُلَهُ فقتلته، وهذا البيت في قصيدة له، وبِسَطَّامٍ:
بِسَطَّامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ الشَّيْبَانِيِّ، وهو ابن ذي الجَدَيْنِ، حدثني أبو عبيدة أنه كان فَارِسَ
رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ، وَطُخْفَةٌ: موضع [بطريق البصرة]، والتَّحْبُ أيضاً: الخِطَارُ، وهو: الرَّهَانُ؛
قال الفرزدق [من الطويل]:

وَإِذْ نَحَبْتُ كَلْبَ عَلَيَّ النَّاسِ أَيْنَا عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ
والتَّحْبُ أيضاً: البكاء؛ ومنه قولهم: يتحب: والتَّحْبُ أيضاً: الحاجة والهمة، تقول:
مالي عندهم نَحْبٌ؛ قال مالك بن نُؤَيْرَةَ اليزْبُوعِيُّ [من الطويل]:

وَمَالِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي تَلَمَّسْتُ مَا تَبَغِي مِنَ الشَّدَنِ الشَّجْرِ^(٣)

[٧٥٢] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧٨/١٠) عن ابن إسحاق.

[٧٥٣] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧٩/١٠) عن ابن إسحاق.

(١) يروي عجزه هكذا:

قضى نخبه في ملتقى القوم هوبر

ينظر ديوانه ص (٢٣٥).

(٢) طُخْفَةٌ: اسم جبل كانت به وقيعة، وعشية بسطام، يعني: العشيَّة التي قُتِلَ فيها بسطامُ بن قيس.
وينظر ديوانه (١٣٢)، ولسان العرب (١/٧٥٠) (نحب)، ٢١٣/٩ (طخف)، وبلا نسبة في جمهرة
اللغة ص (٢٨٥).

(٣) الشَّدُنُ هنا: إبلٌ منسوبةٌ إلى شَدَنِ موضع باليمن وهي التي يقال فيها الإبل الشَّدَنِيَّةُ أيضاً، والشَّجْرُ:
التي في أعينها حُمْرَةٌ.

وقال نَهَارُ بْنُ تَوْسِعَةَ أَحَدِ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ
بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ .

قال ابن هشام: هو مولى أبي حنيفة الفقيه [من الوافر]:
وَتَجَى يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ رَكُضٌ ذِرَاكَ بَعْدَ مَا وَقَعَ اللُّوَاءُ^(١) (١/٢٠٠)
وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَقَضَيْتُ نَحْبًا بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطَأَةٍ وَقَاءُ
والنحب أيضاً: السير الخفيف المرُّ

قال ابن إسحاق: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾ أي: ما وعد الله به من نصره والشهادة على ما مضى
عليه أصحابه [٧٥٤]، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَدُلُّوا بَدِيلًا﴾ أي: ما شكوا وما ترددوا في دينهم
وما استبدلوا به غيره، ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِقِيظِهِمْ﴾ أي: قريشاً وعطفان، ﴿لَمْ يَبَالُوا خَيْرًا
وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾^(٣) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي:
بَنِي قُرَيْظَةَ .

تفسير الصياصي

﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ والصَيَاصِي: الحصون والآطام التي كانوا فيها [٧٥٥].

قال ابن هشام: قال سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ، وَبَنُو الْحَسْحَاسِ: مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ
خَزِيمَةَ [من الطويل]:

وَأَصْبَحَتِ الشَّيْرَانُ صَزَعَى وَأَصْبَحَتْ نِسَاءُ تَمِيمٍ يَنْتَدِرْنَ الصَّيَاصِيَا^(٤)
وهذا البيت في قصيدة له، والصَيَاصِي أيضاً: القُرُونُ؛ قال النابغة الجعدي [من
المتقارب]:

[٧٥٤] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٧٩/١٠) رقم (٢٨٤١٦) عن ابن إسحاق.

[٧٥٥] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨٧/١٠) رقم (٢٨٤٤٩) عن ابن إسحاق.

(١) الرُّكُضُ: الجزى، وذِرَاكَ أي: مُتَابِعٌ.

(٢) ويروى هذا البيت هكذا:

فأصبحت الشيران عرقى وأصبحت نساء تميم يلتقطن الصياصيا

ينظر ديوانه ص (٣٣)، ولسان العرب (٥٢/٧) (صيص)، ٤٧٤/١٤ (صيا)، وتاج العروس (١٨/

٢٧) (صيص)، وللنابغة الجعدي في ديوانه ص (١٧٩)، ولسان العرب (٨٩/١٢) (جذم)،

والمخصص (٥٩/٦، ٢٦٠/١٢، ٣٨/١٦).

وَسَادَةٌ رَهْطِي حَاشِي بَقِيْب — ت فزدا كَصِيصِيَةِ الْأَعْضَبِ^(١)

يقول: أصاب الموتُ سادةَ رَهْطِي، وهذا البيتُ في قصيدة له؛ وقال أبو دواد الإيادي [من الخفيف]:

فَدَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِي بِأَيْدِيهِ — هِنْ نَضُخْ مِنْ الكُحَيْلِ وَقَارِ^(٢)
وهذا البيت في قصيدة له.

والصَّيَاصِي أيضاً: الشُّوكُ الذي للنساجين فيما أخبرني أبو عُبَيْدَةَ، وأنشدني لدُرَيْدِ بن الصَّمَّةِ الجُشَمِيِّ، جُشَمِ بن معاوية بن بَكْر بن هوازن [من الطويل]:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاخُ تُنَوِّشُهُ — كَوَفِعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيحِ الْمُمَدِّدِ^(٣)
وهذا البيت في قصيدة له.

والصياصي أيضاً: التي تكون في أرجل الديكة ناتئة كأنها القُرُونُ الصغار.
والصياصي أيضاً: الأَصُولُ؛ أخبرني أبو عبيدة أن العرب تقول: جَدُّ^(٤) الله صبيصيته، أي: أصله.

قال ابن إسحاق: ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيحًا تَقْتُلُونَ وَتَأْمِرُونَ فَرِيحًا﴾ أي: قَتَلَ الرجالَ وَسَمَى الذراري والنساء [٧٥٦]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَدْرَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَنظُوهَا﴾

[٧٥٦] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨٧/١٠) رقم (٢٨٤٥٥) عن ابن إسحاق.

- (١) الْأَعْضَبُ: المَكْسُورُ القَرْنِ.
- (٢) فَدَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِي: هو من الدَّعْر وهو القَرْعُ، والسُّحْمُ: السُّودُ، والصَّيَاصِي: القُرُونُ، ويعني بِسُحْمِ الصَّيَاصِي: الوُعُولُ الَّتِي فِي الجِبَالِ. وَنَضُخْ، أي: لَطَخْ، والكُحَيْلِ: القَطْرَانُ، والقَارِ: الرِّفْتُ وإِنَّمَا أَرَادَ مَا فِي أَيْدِيهَا مِنَ السُّودِ فَشَبَّهَ بِالكُحَيْلِ والقَارِ.
- (٣) تَنَوِّشُهُ، أي: تَنَاولَهُ.

ويروى صدر هذا البيت هكذا:

فجشت إليه والرماح تنوشه

- ينظر ديوانه ص (٦٣)، ولسان العرب (٣٦١/٦) (نوش)، (٥٢/٧)، (صيص)، (١٩٣/١٠)
- (شيق)، (٤٧٣/١٤) (صيا)، وكتاب العين (١٧٦/٧)، وتهذيب اللغة (٢٦٦/١٢)، وتاج العروس (٢٧/١٨) (صيص)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص (٢٤٢)، والمخصص (٢٦٠/١٢) وراجع المزيد من مصادر البيت في ديوانه ص (٦٣).
- (٤) جَدُّ: هو ها هنا بالذال المُعْجَمَةُ لا عَجْرٌ، ومغناه: قَطْعٌ، ويُقال: جَدُّ وَجَدُّ بَذَالٍ مُعْجَمَةٍ وَمُهْمَلَةٍ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

يعني: خبير [٧٥٧]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ .

وفاة سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأنُ بني قريظة آنفَجَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ جِرْحُهُ، فمات منه شهيداً [٧٥٨].

قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ رِفَاعَةَ الزُّرْقِيُّ، قال: حَدَّثَنِي مِنْ شِثْثٍ مِنْ رِجَالِ قَوْمِي أَنْ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - حينَ قُبِضَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ - مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ مُعْتَجِرًا بِعِمَامَةٍ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، فقال: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ هَذَا الْمَيْتُ الَّذِي فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاهْتَزَّتْ لَهُ الْعَرْشُ؟! قال: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا يَجْرُ نُوبُهُ إِلَى سَعْدٍ، فوجده قد مات [٧٥٩].

قال ابن إسحاق: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَتْ: أَقْبَلْتُ عَائِشَةَ قَافِلَةً مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهَا أَسِيدُ بْنُ خُضَيْرٍ، فَلَقِيَهُ مَوْتُ امْرَأَةٍ لَهُ، فَحَزَنَ عَلَيْهَا بَعْضَ الْحُزْنِ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا يَحْيَى، أَتَحْزَنُ عَلَيَّ امْرَأَةً وَقَدْ أَصِيبَتْ بِأَبْنٍ عَمَلِكَ وَقَدْ أَهْتَزَّتْ لَهُ الْعَرْشُ [٧٦٠].

قال ابن إسحاق: (٢٠٠/ب) وحَدَّثَنِي مِنْ لَا أَتَهُمُ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قال: كان سعدُ رجلاً بَادِنًا، فلما حملته النَّاسُ وَجَدُوا لَهُ حِقْفَةً، فقال رجالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: وَاللَّهِ إِنْ كانَ لِبَادِنًا، وما حَمَلْنَا مِنْ جِنَازَةٍ أَحْفَ مِنْهُ، فبلغ ذلك رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «إِنَّ لَهُ حَمَلَةً

[٧٥٧] أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٨٨/١٠) رقم (٢٨٤٥٧) عن ابن إسحاق.
[٧٥٨] ينظر «تاريخ الطبري» (٥٩٢/٢) و«البداية والنهاية» (١٤٣/٤) و«الدرر في اختصار المغازي والسير» ص (٢٠٧).

[٧٥٩] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيوخ معاذ بن رفاعة الزرقي وكذلك إرساله.
وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢٩/٤) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٤٦٣/٢) والحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٥/٤ - ١٤٦) من طريق ابن إسحاق.
وأخرجه أحمد (٣٦٠/٣، ٣٧٧) والحاكم (٢٠٦/٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢٩/٤ - ٣٠) كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح عن جابر بن عبد الله به.

[٧٦٠] إسناده حسن.
وأخرجه أحمد (٣٥٢/٤) والحاكم (٢٠٧/٣) بسند آخر عن عائشة بنحوه.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

غَيْرِكُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ اسْتَبَشَّرَتِ الْمَلَائِكَةُ بِرُوحِ سَعْدِ وَاهْتَزَّ لَهُ الْعَرْشُ» [٧٦١].

إن للقبر ضمة لا ينجو منها أحد

قال ابن إسحاق: وحدثني معاذ بن رفاعَةَ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجَمُوح. عن جابر بن عبد الله، قال: لما دُفِنَ سَعْدٌ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَبَّحَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِمَّ سَبَّحْتَ؟! قَالَ: «لَقَدْ تَصَاقَقَ عَلَيَّ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ» [٧٦٢].

قال ابن هشام: وَمَجَازُ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُ عَائِشَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضُمَّةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهَا نَاجِيًا، لَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ» [٧٦٣].

رثاء سعد بن معاذ

قال ابن إسحاق: وَلِسَعْدٍ يَقُولُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ [من الطويل]:
وَمَا أَهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لِسَعْدِ أَبِي عَمْرٍو^(١)
وقالت أم سعد حين احتمل نعشهُ، وهي تُبْكِيهِ.

قال ابن هشام: وهي كَبِيشَةُ بِنْتُ رَافِعِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ عَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ بْنِ الْأَبْجَرِ، وَهُوَ جُدْرَةٌ بْنُ عَوْفِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ [من منهوك الرجز]:

[٧٦١] إسناده ضعيف.

شيخ ابن إسحاق مجهول لا يعرف، والحسن البصري أرسل هذا الحديث، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٨٤/١) من طريق ابن إسحاق. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤٣٠/٣) عن الحسن مرسلًا. أما اهتزاز العرش لموته فله شاهد من حديث جابر أخرجه البخاري (١٥٤/٧) كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٣٨٠٣) ومسلم (١٩١٥/٤) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل سعد بن معاذ حديث (٢٤٦٦/١٢٤) والترمذي (٦٤٧/٥) كتاب المناقب: باب مناقب سعد بن معاذ حديث (٣٨٤٨) وابن ماجه (٥٦/١) المقدمة باب فضل سعد بن معاذ حديث (١٥٨) بلفظ: «لقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ».

[٧٦٢] تقدم تخريجه.

[٧٦٣] أخرجه أحمد (٥٥/٦، ٩٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١٠٧/١) من حديث عائشة.

وله شاهد من حديث ابن عمر.

أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤٣٠/٣) من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن أبي عمر به.

(١) ينظر البداية والنهاية (١٤٨/٤).

وَنَبَلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةٌ وَخَدًا^(١)
 وَشُؤْدَادٌ وَمَجْدًا وَقَارِسَاءُ مُعَدًا
 سُودٌ بِهِ مَسْدًا [رَقْدٌ هَامًا قَدًا] [٧٦٤]^(٢)

قال: يقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ نَائِحَةٍ تَكْذِبُ إِلَّا نَائِحَةَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ» [٧٦٥].

الشهداء في يوم الخندق

قال ابن إسحاق: وَلَمْ يَنْتَشِهْذِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ إِلَّا سِتَّةُ نَفَرٍ:
 من بني عبد الأشهل: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأَسَدُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكٍ بن عمرو، وعبد
 الله بن سَهْلٍ، ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ.
 ومن بني جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثم مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: الطُّفَيْلُ بن النعمان، وثعلبة بن عَنَمَةَ؛
 رجلاً.

ومن بني النَّجَّارِ، ثم من بني دينار: كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ، أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرَبَ فقتله.
 قال ابن هشام: سَهْمٌ غَرَبَ، وَسَهْمٌ غَرَبَ، بِإِضَافَةٍ، وَغَيْرِ إِضَافَةٍ، وَهُوَ: الَّذِي لَا
 يُعْرَفُ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مَنْ رَمَى بِهِ.

القتلى من المشركين في يوم الخندق

وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ: من بني الدار بن قُصَيٍّ: مُنْبَهُ بن عثمان بن عُبَيْدِ بن
 السَّبَّاقِ بن عبد الدار، أَصَابَهُ سَهْمٌ فمات منه بِمَكَّةَ.
 قال ابن هشام: هو عُثْمَانُ بن أُمَيَّةَ بن مُنْبَهُ بن عُبَيْدِ بن السَّبَّاقِ [٧٦٦].

 [٧٦٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٤٨/٤).
 [٧٦٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٤٨/٤) وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/٦) رقم
 (٥٣٢٩) من طريق محمد بن إسحاق فذكره.
 وله شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العلية» (١/٢٢٣) -
 (٢٢٤) رقم (٧٩١).
 وذكره من حديث سعد، الهيثمي في «المجمع» (١٨/٣) وقال: رواه الطبراني في «الكبير» بإسنادين
 في أحدهما مسلم الملائي وهو ضعيف، والآخر عن محمد بن إسحاق.
 [٧٦٦] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٥٩٣/٢) عن ابن إسحاق بنحوه.
 وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٣٩/٤).

(١) وَنَبَلُ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا، أَرَادَتْ وَنَبَلُ أُمِّ فَكَسَرَتْ اللَّامَ إِتِبَاعًا لِكَسْرِ الْمِيمِ: كَذَا قَالَ الْخَشَنِيُّ.
 (٢) يَقْدُ هَامًا قَدًا، الْهَامُ هُنَا: جَمْعُ هَامَةٍ وَهِيَ الرَّأْسُ. وَيَنْظُرُ الْبَدَايَةُ وَالنَّهْيَةُ (١٤٨/٤).

قال ابن إسحاق: وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بْنِ يَعْظَةَ: نُوْفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَهُمْ جَسَدَهُ، وَكَانَ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ فَتَوَرَّطَ^(١) فِيهِ، فَقُتِلَ، فَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَسَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا حَاجَةَ لَنَا فِي جَسَدِهِ وَلَا بِثَمَنِهِ»، فَخَلَّى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ [٧٦٧].

قال ابن هشام: أَعْطَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِجَسَدِهِ عَشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ؛ فِيمَا بَلَغَنِي عَنِ الزَّهْرِيِّ.

قال ابن إسحاق: وَمِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ حَنْسَلٍ: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ^(٢) قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي الثَّقَفَةُ أَنَّهُ حَدَّثَتْ عَنِ ابْنِ شَهَابِ الزَّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بْنَ عَبْدِ وَدٍّ وَابْنَهُ حَنْسَلَ بْنَ عَمْرٍو.

قال ابن هشام: يُقَالُ: عَمْرُو بْنُ [بْنِ] عَبْدِ وَدٍّ، وَيُقَالُ: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ.

من استشهد من المسلمين في يوم بني قريظة

قال ابن إسحاق: وَأَسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي الْحَرِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ: خَلَادُ بْنُ سُؤَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو؛ طَرِحَتْ عَلَيْهِ رَحَى فَشَدَّخَتْهُ شَدْحًا شَدِيدًا، فَزَعَمُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لَهُ لِأَجْرٍ شَهِيدَيْنِ» وَمَاتَ أَبُو سَيَّانِ بْنُ مِحْصَنِ بْنِ حُرْثَانَ أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ حُزَيْمَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحَاصِرُ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَذُوْنَ فِي مَقْبَرَةِ بَنِي قُرَيْظَةَ الَّتِي يَدْفِنُونَ (٢٠١/أ) فِيهَا الْيَوْمَ، وَإِلَيْهِ دَفِنُوا أَمْوَاتُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ - فيما بلغني - : «لَنْ تَغْزَوْكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هَذَا، وَلَكِنَّكُمْ تَغْزَوْنَهُمْ» فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذي يغزوها حتى فتح الله [تعالى] عليه مكة.

[٧٦٧] ينظر السابق.

(١) فتورط فيه، أي: انتسب.

(٢) عمرو بن عبد ود. ويقال عمرو بن عبد فقط، كذا قال الخشني.

مَا قِيلَ مِنَ الشُّعْرِ فِي أَمْرِ الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ

قصيدة لضرار بن الخطاب الفهري في يوم الخندق

وقال ضرارُ بنُ الخطَّابِ بنِ مِرْدَاسِ أخو بني مُحَارِبِ بنِ فِهْرِ في يومِ الخندقِ [من

الوافر]:

وَمُشْفِقَةٌ تَظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا	وَقَدْ قُذْنَا عَرْنَدَسَةَ طُحُونَا ^(١)
كَأَنَّ زُهَاءَهَا أَحَدٌ إِذَا مَا	بَدَتْ أَزْكَائِهِ لِسُلْطَانِيْنَا ^(٢)
تَرَى الْأَبْدَانَ فِيهَا مُسْبِغَاتِ	عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلْبِ الْحَصِينَا ^(٣)
وَجُزْدًا كَالْقِدَاحِ مُسَوَّمَاتِ	نَوْمٌ بِهَا الْعَوَاطِ الْخَاطِئِينَا ^(٤)
كَأَنَّهُمْ إِذَا صَالُوا وَضَلُّنَا	بِبَابِ الْخَنْدَقِينَ مُصَافِحُونَا ^(٥)
أُنَاسٌ لَا تَرَى فِيهِمْ رَشِيدًا	وَقَدْ قَالُوا: أَلَسْنَا رَاشِدِينَا؟
فَأَحْجَرْنَاهُمْ شَهْرًا كَرِيْتًا	وَكُنَّا فَوْقَهُمْ كَالْقَاهِرِينَا ^(٦)
نُرَاوِحُهُمْ وَتَغْدُوا كُلَّ يَوْمٍ	عَلَيْهِمْ فِي السَّلَاحِ مُدْجِجِينَا ^(٧)
بِأَيْدِينَا صَوَارِمُ مُزَهَمَاتِ	نَقْدُ بِهَا الْمَفَارِقِ وَالشُّثُونَا ^(٨)
كَأَنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّاتِ	إِذَا لَاحَتْ بِأَيْدِي مُضَلِّيْنَا ^(٩)
وَمِيضُ عَقِيْقَةٍ لَمَعَتْ بِلَيْلِ	تَرَى فِيهَا الْعَقَائِقُ مُسْتَبِيْنَا ^(١٠)
فَلَوْلَا خَنْدَقٌ كَأثَوَا لَدَيْهِ	لَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَا
وَلَكِنْ حَالَ دُونَهُمْ وَكَانُوا	بِهِ مِنْ خَوْفِنَا مُتَعَوِّذِينَا

(١) العَرْنَدَسَةُ: الشديدة القُوَّةُ يَعْنِي: كَتِيْبَةٌ، وَالطُّحُونُ: الَّتِي تَطْحَنُ كُلَّ مَا مَرَّتْ بِهِ.

(٢) كَأَنَّ زُهَاءَهَا، أَي: تَقْدِيرَ عَدْدِهَا.

(٣) الْأَبْدَانُ هُنَا: الدَّرُوعُ، الْمُسْبِغَاتُ: الْكَامِلَةُ. وَالْيَلْبُ: التَّرْسَةُ، وَيُقَالُ: هِيَ الدَّرَقُ.

(٤) الْجُزْدُ: الْخَيْلُ الْعِتَاقُ، وَالْقِدَاحُ: السَّهَامُ، وَالْمُسَوَّمَاتُ: الْمُرْسَلَةُ، وَيُقَالُ: الْعَالِيَةُ الْأَسْوَامُ؛ وَنَوْمٌ، أَي: تَقْصِيدٌ.

(٥) الْمُصَافِحَةُ: أَخَذَ الرَّجُلُ يَبِيْدَ الرَّجُلِ عِنْدَ السَّلَامِ.

(٦) أَحْجَرْنَاهُمْ: مَعْنَاهُ حَصَرْنَاهُمْ. وَشَهْرًا كَرِيْتًا، أَي: تَامًا كَامِلًا.

(٧) الْمُدْجِجُ بَفَتْحِ الْجِيمِ وَكسرها هُوَ الْكَامِلُ السَّلَاحِ.

(٨) الصَّوَارِمُ: السُّيُوفُ. وَمُزَهَمَاتُ، أَي: قَاطِعَةٌ. وَتَقْدُ، أَي: تَقَطَّعَ. وَالْمَفَارِقُ: جَمْعُ مَفْرَقٍ، وَهُوَ

حَيْثُ يَتَفَرَّقُ الشُّعْرُ فِي أَعْلَى الْجَبْهَةِ، وَالشُّثُونُ هُنَا: مُجْتَمِعُ الْعِظَامِ فِي أَعْلَى الرَّأْسِ.

(٩) الْوَمِيضُ: اللَّمَعَانُ، وَالْمُضَلَّتُ: الَّذِي جَرَّدَ سَيْفَهُ مِنْ غِمْدِهِ.

(١٠) الْعَقِيْقَةُ هُنَا: السُّحَابَةُ الَّتِي تُنْشِئُ عَنِ الْبَرَقِ.

فَإِنْ تَسْرَحَلْ فَإِنَّا قَدْ تَسْرَكْنَا
 إِذَا جَنَّ الظُّلَامَ سَمِعْتَ نُوْحَى
 وَسَوْفَ نَزُوْرُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ
 بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عَزَلٍ
 لَدَى أُنْيَاتِكُمْ سَفْعِدَا رَهِينَا
 عَلَى سَفْعِدِ يُرْجَعُنِ الْحَنِينَا^(١)
 كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَ^(٢)
 كَأَسَدِ الْعَابِ قَدْ حَمَتِ الْعَرِيْنَا^(٣)

كعب بن مالك يجيب ضرار بن الخطاب الفهري

فأجابه كعب بن مالك أخو بني سلَمة رضي الله عنه فقال [من الوافر]:

وَسَائِلَةٌ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا
 صَبْرْنَا لَا نَرَى لَهُ عِذْلًا
 وَكَأَنَّ لَنَا الشُّبِيَّ وَزَيْرَ صِدْقٍ
 نُقَاتِلُ مَغْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا
 نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا
 تَرَانَا فِي قَضَائِفِ سَابِغَاتٍ
 وَفِي أَيْمَانِنَا بِيضَ خِفَافٍ
 بِبَابِ الْخُنْدَقِينَ كَأَنَّ أُسْدًا
 قَوَارِسُنَا إِذَا بَسَكُرُوا وَرَاحُوا
 لِنَنْضُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهَ حَتَّى
 وَيَغْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ جِئْنَ سَارُوا
 بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ
 وَلَوْ شَهِدْتَ رَأَتْنَا صَابِرِينَ
 عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
 بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ
 وَكَأَنُوا بِالْعِدَاوَةِ مُزْصِدِينَ^(٤)
 بِضَرْبٍ يُغْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَ
 كَعُذْرَانَ الْمَلَأِ مُتَسَرِّبِينَ^(٥)
 بِهَا نَشْفِي مَرَاحَ الشَّاعِبِينَ^(٦)
 شَوَابِكُهُنَّ يَحْمِيْنَ الْعَرِيْنَا^(٧)
 عَلَى الْأَعْدَاءِ شُوسًا مُغْلَمِينَ^(٨)
 تَكُونُ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَ
 وَأَحْزَابَ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَ
 وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ

(١) التُّوْحُ والتُّوْحَى: جماعة النساء اللاتي تُتَخَنَ.

(٢) مُتَوَازِرِينَ، أي: مُتَعَاوِنِينَ.

(٣) العَزَلُ: الذين لا سلاح معهم واجدهم: أعزَل. والعَابُ: جَمْعُ غَابِيَةٍ وهو موضعُ الأَسَدِ، والعَرِينُ: موضعُ الأَسَدِ أيضاً واجدتهُ: عَرِينَةٌ. وينظر البداية والنهاية (٤/١٤٩، ١٥٠).

(٤) المُزْصِدُ: المُعِدُّ للأمر، يقال: أَرْصَدْتُ لهذا الأمر كذا وكذا أي: أَعَدَدْتُهُ.

(٥) الفَضَائِفُ هنا الدُّرُوعُ المُتَشِيعَةُ، وسَابِغَاتٌ ومُسْبِغَاتٌ، أي: كاملة، والعُذْرَانُ: جَمْعُ غَدِيرٍ. والمَلَأُ: المُتَشِيعُ مِنَ الأَرْضِ وهو مقصور، ومُتَسَرِّبِلُونَ، أي: لا يَسُونَ للدُّرُوعِ.

(٦) المَرَاحُ: الشُّطَاطُ.

(٧) الشَّوَابِكُ: تُشْتَبُّ بِمَا تَأْخُذُ فَلَا يُقَلِّكُ مِنْهَا.

(٨) الشُّوسُ: جَمْعُ أَشُوسٍ وهو الذي ينظر نظر المُتَكَبِّرِ بِمُؤَخَّرِ عَيْنَيْهِ. والمُغْلَمُ: بفتح اللام وكسرها الذي أعلم نفسه بعلامة في الحرب لِيشْتَهَرَ بِهَا، وقد تقدم.

فَمَا تَفْتُلُوا سَفَدًا سَفَاهَا
 سِيذْخِلُهُ جِنَانًا طِيَبَاتِ
 كَمَا قَدْ رَدَّكُمْ فَلَا شَرِيدًا
 خَزَايَا لَمْ تَسْأَلُوا نَمَّ خَيْرًا
 بِرِيحِ عَاصِفٍ هَبَّتْ عَلَيْكُمْ
 قصيدة لابن الزبيري في يوم الخندق

فَإِنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْقَادِرِينَ
 تَكُونُ مَقَامَةً لِلصَّالِحِينَ
 بِعَيْظِكُمْ خَزَايَا خَائِبِينَ^(١)
 وَكَذُتُمْ أَنْ تَكُونُوا دَائِرِينَ^(٢)
 فَكُنْتُمْ تَحْتَهَا مُتَكَمِّهِينَ [٧٦٨]^(٣)

وقال عبد الله بن الزبيري السهمي في يوم الخندق [من الكامل]:

حَيِّ الدِّيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسِمِهَا
 فَكَأَنَّمَا كَتَبَ الْيَهُودُ رُسُومَهَا
 قَفْرًا كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَلْهُو بِهَا
 فَاتْرُكْ تَذَكَّرَ مَا مَضَى مِنْ عَيْشَةٍ
 وَادْكُرْ بِلَاءَ مَعَاشِيرٍ وَاشْكُرْهُمْ
 أَنْصَابِ مَكَّةَ عَامِدِينَ لِيَثْرِبَ
 يَدْعُ الْحُزُونَ مَنَاهِجًا مَعْلُومَةً
 طُولُ الْبِلَاءِ وَتَرَاوُحُ الْأَخْقَابِ^(٤)
 إِلَّا الْكَنْيَفَ وَمَعْقِدَ الْأَطْنَابِ^(٥)
 فِي نِعْمَةٍ بِأَوَانِسِ أَتْرَابِ^(٦)
 وَمَحَلَّةِ خَلَقِ الْمُقَامِ بَبَابِ^(٧)
 سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ الْأَنْصَابِ^(٨)
 فِي ذِي غَيَاطِلٍ جَحْفَلِ جَنْجَابِ^(٩)
 فِي كُلِّ نَشْرِ ظَاهِرٍ وَشِعَابِ^(١٠) ٢٠١/ب

[٧٦٨] ذكره الحافظ ابن كثير في «البدية والنهاية» (٤/١٤٩ - ١٥١).

- (١) الفل: القوم المنهزمون، والشريد: الطريد.
- (٢) دايرين، أي: هالكين من الدمار وهو الهلاك.
- (٣) العاصف: الريح الشديدة، والمتكّم: الأعمى الذي لا يبصر. وينظر البداية والنهاية (٤/١٥٠)، (١٥١).
- (٤) الأخقاب: جمع حقب وهو الدر، والحقب: السنون واحدها: حقب.
- (٥) الكنيف، يعني به الخطيرة والرّزب الذي يوضع للإبل، وسمي كنيفاً لأنه يكنفها أي يستورها، والأطناب: الجبال التي تُشدّ بها الأحبية ويوت العرب، وأراد بمعقدها الأوتاد التي تُربط فيها.
- (٦) الأتراب: اللأني على سنّ واجدة، والواحدة منها: بزب.
- (٧) اليباب: القفر.
- (٨) الأنصاب هنا: الحجارة التي يُعلم بها الحرم، والأنصاب أيضاً: حجارة كانوا يذبحون لها ويعظمونها.
- (٩) في ذي غياطل، يعني جيشاً كثير الأصوات، والغياطل جمع غيطلة، وهي الصوت هنا، جحفل، أي: جيش كثير، جنجاب: كثير أيضاً.
- (١٠) الحزون: جمع حزن وهو ما ارتفع من الأرض، والمناهج: جمع منهج وهو الطريق البين، والنشر: المرتفع من الأرض، ويقال فيه: نشر أيضاً، والشعاب: جمع شغب وهو المنخفض بين جبلتين.

فِيهَا الْجِيَادُ شَوَازِبَ مَجْنُوبَةٍ
 مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ سَلْهَبٍ
 جَيْشٌ عُيَيْنَةٌ قَاصِدٌ بِلَوَائِهِ
 قَرْمَانَ كَالْبَدْرَيْنِ أَضْبَحَ فِيهِمَا
 حَتَّى إِذَا وَرَدَا الْمَدِينَةَ وَارْتَدَّوْا
 شَهْرًا وَعَشْرًا قَاهِرِينَ مُحَمَّدًا
 نَادَوْا بِرِخْلَتِهِمْ صَبِيحَةَ قُلْتُمْ:
 لَوْلَا الْحَنَادِقُ عَادَرُوا مِنْ جَمْعِهِمْ

قصيدة لحسان يجيب بها ابن الزبيرى

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري، فقال [من الكامل]:

مُتَّكَلِّمٌ لِمُحَاوِرٍ بِجَوَابٍ! (١)
 وَهُبُوبٌ كُلُّ مُطْلَعَةٍ مِرْيَابٍ (٢)
 بِيضُ الْوُجُوهِ نَوَاقِبُ الْأَخْسَابِ (٣)
 بَيْضَاءُ آيَسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابٍ (٤)
 مِنْ مَغْشَرٍ ظَلَمُوا الرَّسُولَ غَضَابٍ
 أَهْلَ الْقُرَى وَيَوَادِي الْأَعْرَابِ (٥)
 مُتَّخَمَطُونَ بِحَلْبَةِ الْأَخْرَابِ (٦)

هَلْ رَسُمُ دَارِسَةِ الْمُقَامِ يَبَابٍ
 قَفَّرَ عَفَارِهِمُ السَّحَابِ رُسُومَهُ
 وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِيئُهُمْ
 قَدَحَ الدِّيَارِ وَذَكَرَ كُلَّ حَرِيدَةٍ
 وَأَشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَاتَرَى
 سَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ إِلَيْهِ وَالْبُؤَا
 جَيْشٌ عُيَيْنَةٌ وَإِنُّ حَزْبٍ فِيهِمْ

- (١) الشَّوَازِبُ الضَّامِرَةُ. وَمَجْنُوبَةٌ، أَي مَقْوَدَةٌ، وَقُبُّ أَي ضَامِرَةٌ، وَلَوَاجِحُ، أَي: ضَامِرَةٌ أَيْضًا، وَالْأَقْرَابُ: جَمْعُ قَرْبٍ وَهُوَ الْخَاصِرَةُ وَمَا يَلِيهَا.
- (٢) السَّلْهَبَةُ: الطَّوِيلَةُ. وَالسَّيْدُ: الذَّيْبُ.
- (٣) قَرْمَانَ، أَي فَخْلَانَ سَيْدَانَ، وَالْمَغْعَلُ: الْمَلْجَأُ.
- (٤) ارْتَدَّوْا، أَي: تَقَلَّدُوا، وَكُلُّ مُجْرِبٍ، أَي: سَيْفًا قَدْ جُرِبَ، وَقَضَابٌ، أَي: قَاطِعٌ.
- (٥) سَعْبٌ، أَي: جَانِعَةٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَنَعٍ﴾. وَيَنْظُرُ الْبَدَايَةَ وَالنَّهَايَةَ (٤/١٥١).
- (٦) الْيَبَابُ: الْقَفْرُ وَقَدْ تَقَدَّمَ، وَالْمُحَاوِرُ: الَّذِي يُرَاجِعُكَ وَيَتَكَلَّمُ مَعَكَ.
- (٧) غَمَى، أَي: غَيَّرَ وَدَرَسَ، وَرِهْمٌ: جَمْعُ رِهْمَةٍ وَهُوَ الْمَطَرُ. وَمُطْلَعَةٌ، أَي: مُشْرِفَةٌ وَهُوَ هُنَا بِالطَّاءِ الْمَهْمَلَةِ فَقَطْ، وَمِرْيَابٌ، أَي: دَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ.
- (٨) الْحُلُولُ: الْبُيُوتُ الْمَجْتَمِعَةُ، نَوَاقِبُ، أَي: نَبْرَةٌ مُشْرِفَةٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ الْأَنْبِيَاءُ﴾.
- (٩) الْحَرِيدَةُ: الْمَرْأَةُ النَّاعِمَةُ الْحَيَّةُ، وَالْكَعَابُ: الَّتِي تَهْدُ نَذْبُهَا فِي أَوَّلِ مَا يَنْهَدُ.
- (١٠) أَلْبُوا أَي: جَمَعُوا، وَقَدْ تَقَدَّمَ.
- (١١) مُتَّخَمَطُونَ، أَي مُخْتَلِطُونَ، وَيُقَالُ: الْمُتَّخَمَطُ: الشَّدِيدُ الْغَضَبِ. الْمُتَكَبِّرُ. وَالْحَلْبَةُ: جَمَاعَةُ الْخَيْلِ =

قَتَلِ الرَّسُولِ وَمَنْنَمِ الْأَسْلَابِ
 رُدُّوا بِغَيْظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ^(١)
 وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْتَابِ^(٢)
 وَأَتَابِهِمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرِ نَوَابِ
 تَنْزِيلِ نَضْرٍ مَلِيكِنَا الْوَهَابِ
 وَأَذَلَّ كُلَّ مُكْذِبٍ مُرْتَابِ
 فِي الْكُفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرِ الْأَثْوَابِ^(٣)
 فِي الْكُفْرِ آخِرَ هَذِهِ الْأَحْقَابِ^(٤)

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَازْتَجَوْا
 وَعَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ
 بِهُبُوبٍ مُغْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ
 فَكَفَى الْإِلَهَ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ
 مَنْ بَعْدَ مَا قَنَطُوا فَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ
 وَأَقْرَعَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ
 عَاتِي الْفُؤَادِ مُرَوِّعِ ذِي رَيْبَةٍ
 عَلِقَ الشَّقَاءُ بِقَلْبِهِ فَمُؤَادُهُ

قصيدة لكعب بن مالك الأنصاري يجيب بها ابن الزبيري أيضاً:

وأجابه كعب بن مالك أيضاً، فقال [من الكامل]:

مِنْ خَيْرِ نَخْلَةٍ رَبَّنَا الْوَهَابِ^(٥)
 حُمِّ الْجُدُوعِ عَزِيرَةَ الْأَخْلَابِ^(٦)
 لِلْجَارِ وَابْنِ الْعَمِّ وَالْمُثَنَّبِ^(٧)
 عَلَفَ الشَّعِيرِ وَجَزْرَةَ الْمِقْضَابِ^(٨)
 جُرْدُ الْمُثُونِ وَسَائِرِ الْأَرَابِ^(٩)

أَبَقَى لَنَا حَدَثَ الْحُرُوبِ بِقِيَّةِ
 بَيْضَاءَ مُشْرِقَةَ الدُّرَا وَمَعَاظِنَا
 كَاللُّوبِ يُبَدِّلُ جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا
 وَنَزَائِعَا مِثْلَ السَّرَاحِ نَمَى بِهَا
 غَرِي الشَّوَى مِنْهَا وَأَرْدَقَ نَحْضَهَا

= التي تُعَدُّ للبياق.

- (١) الأَيْدِ: القُوَّة.
- (٢) بِهُبُوبٍ مُغْصِفَةٍ، أَي: رِيحٌ شَدِيدَةٌ.
- (٣) عَاتِي الْفُؤَادِ، أَي: قَابِيئِهِ. وَمُؤَوِّعٍ، أَي: ذُو غَيْبٍ، وَأَضْلُهُ مِنَ التَّوَقُّعِ فِي ظَهْرِ الدَّابَّةِ، وَهُوَ أَسْبَاحٌ يَكُونُ فِيهِ.
- (٤) يَنْظُرُ دِيْوَانَهُ ص (١١٩، ١٢٠)، وَالْبَدَايَةُ وَالتَّهْيَاةُ (٤/١٥١، ١٥٢).
- (٥) النَّخْلَةُ: الْعَطَاءُ.
- (٦) الدَّرَى: الْأَعَالِي، وَالمَعَاظِنُ: مَبَارِكُ الْإِبِلِ حَوْلَ الْمَاءِ، وَحُمِّ، أَي: سَوْدٌ. وَيَعْنِي بِالْجُدُوعِ، هُنَا: أَغْنَاقَهَا، وَالْأَخْلَابُ: مَا يُخْلَبُ مِنْهَا.
- (٧) اللُّوبُ: جَمْعُ لُوبٍ وَهِيَ الْحَرَّةُ، وَيُقَالُ فِيهَا أَيْضاً: لَابَةٌ وَجَمْعُهَا: لَابٌ، وَالحَرَّةُ: أَرْضٌ ذَاتُ جِجَارَةٍ سَوْدٍ، وَجَمُّهَا: مَا اجْتَمَعَ مِنْ لَبِنِهَا وَكَذَلِكَ حَفِيلُهَا. وَالمُثَنَّبُ: هُوَ الْقَاصِدُ الزَّائِرُ.
- (٨) نَزَائِعَا، يَعْنِي: الْخَيْلَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي جَلِبَتْ مِنْ أَرْضِهَا إِلَى غَيْرِ أَرْضِهَا، وَالسَّرَاحُ هُنَا: الْبِزَابُ وَاجْدُهَا: سِرْحَانٌ، وَيُقَالُ فِي جَمْعِهِ: سَرَاحِينٌ أَيْضاً. وَالسَّرْحَانُ فِي لُغَةِ هَذَيْلٍ: الْأَسَدُ. وَجَزْرَةُ الْمِقْضَابِ، يَعْنِي: مَا يُجَزُّ لَهَا مِنَ النَّبَاتِ فَتَطْعَمُهُ، وَالمِقْضَابُ: مِنَ الْقَضْبِ وَهُوَ الْقَطْعُ.
- (٩) الشَّوَى: الْقِرَائِمُ. وَنَحْضُهَا، أَي: لَحْمُهَا. وَالمُثُونُ: الظُّهُورُ. وَالجُرْدُ: المُلْسُ. وَالأَرَابُ هُنَا: جَمْعُ إزْبَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ اللَّحْمِ.

قُوداً تَرَاحُ إِلَى الصُّيَاحِ إِذَا عَدَّتْ
وَتَحُوطُ سَائِمَةَ الدِّيَارِ وَتَارَةً
حَوْشِ الوُحُوشِ مُطَارَةً عِنْدَ الوَعَى
عَلِمَتْ عَلَى دَعَةٍ فَصَارَتْ بُدْنًا
يَغْدُونَ بِالرَّغْفِ الْمَضَاعِفِ شَكُهُ
وَصَوَارِمِ نَزَعِ الصِّيَاقِلِ غُلْبَهَا
يَصِلُ الِیَمِینَ بِمَارِنٍ مُتَقَارِبٍ
وَأَعْرَ أَرْزَقَ فِي القَنَاةِ كَأَنَّهُ
وَكَتِيبَةَ يَنْفِي القِرَانَ قَتِيرَهَا
جَأْوَى مُلْمَلِمَةٍ كَأَنَّ رِمَاحَهَا
تَأْوِي إِلَى ظِلِّ اللُّوَاءِ كَأَنَّهُ
أَغَيْثُ أَبَا كَرِبٍ وَأَغَيْثُ ثُبَعَا

فِغَلِ الضَّرَاءِ تَرَاحُ لِلْكَلَابِ (١)
تُرْدِي العِدَى وَتُثَوِّبُ بِالأَسْلَابِ (٢)
عُبَسُ اللُّقَاءِ مُبِیئَةُ الإِنجَابِ (٣)
دُخَسَ البَضِيعِ خَفِیْمَةُ الأَقْصَابِ (٤)
وَبِمُتْرَصَاتٍ فِي الثَّقَافِ صِئَابِ (٥)
وَبِكُلِّ أَرْوَعٍ مَاجِدِ الأَنْسَابِ (٦)
وِكَلَّتْ وَقِيعَتُهُ إِلَى خَبَابِ (٧)
فِي طُحْيَةِ الظَّلْمَاءِ ضَوْءُ شِهَابِ (٨)
وَتَرُدُّ حَدَّ قَوَاجِزِ النُّشَابِ (٩)
فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ صَرِيمَةٌ غَابِ (١٠)
فِي صَعْدَةِ الحَطِيّیِّ قِیْءُ عُقَابِ (١١)
وَأَبَتْ بَسَالَتِهَا عَلَى الأَعْرَابِ (١٢)

- (١) قُودٌ، أي: طَوَالٌ، وهو جَمْعُ أَقْوَدَ وَقُودَاءَ. وَتَرَاحٌ، أي: تَنَشَّطَ، والضَّرَاءُ هنا: الكِلَابُ الضَّارِيَةُ بالصَّيْدِ. وَالكَلَابُ: الصَّائِدُ صَاحِبُ الكِلَابِ.
- (٢) السَّائِمَةُ: المَائِيَّةُ المُرْسَلَةُ فِي المَرْعَى، إِبِلًا كَانَتْ أَوْ غَيْرَهَا. وَتُرْدِي، أي: تَهْلِكُ، وَتُثَوِّبُ، أي: تُرْجِعُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ.
- (٣) حَوْشِ نَافِرَةٍ، وَمُطَارَةٌ، أي: مُسْتَخَفَّةٌ. وَالْوَعَى: الحَرْبُ. الإِنجَابُ: الكَرَمُ والعِتْقُ.
- (٤) البُدْنُ: السَّمَانُ، وَدُخَسَ، أي: كَثِيرَةُ اللَّحْمِ، وَالبَضِيعُ: اللَّحْمُ، وَالأَقْصَابُ بِالصَّادِ المَهْمَلَةِ: جَمْعُ قَضَبٍ وَهُوَ المَعَى.
- (٥) الرِّغْفُ: الدَّرُوعُ اللَّيْنَةُ، وَالشُّكُّ هنا: التَّنْشُجُ. وَالمُتْرَصَاتُ: الشَّدِيدَاتُ بِعَنِي رِمَاحًا. وَالثَّقَافُ: الخَشِيبَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا الرِّمَاحُ. وَصِئَابٌ: أي صَائِبَةٌ.
- (٦) صَوَارِمٌ، أي: سَبُوفٌ قَاطِعَةٌ. وَغُلْبَهَا: حُشُونَتُهَا وَمَا عَلَا عَلَيْهَا مِنَ الصَّدَا. وَالأَرْوَعُ: الَّذِي يَرُوعُ بِكَمَالِهِ وَحَمَالِهِ. وَمَاجِدٌ، أي: شَرِيفٌ.
- (٧) مَارِنٌ بِالرَّاءِ: الرُّفْحُ اللَّيِّنُ. وَوَقِيعَتُهُ، أي: صَنَعَتُهُ، وَتَطْرِيقُهُ، وَتَحْدِيدُهُ، وَالمِيقَعَةُ: المِطْرَقَةُ الَّتِي يُطْرَقُ بِهَا الحَدِيدُ. وَخَبَابٌ هنا: أَسْمُ قَيْنٍ.
- (٨) أَعْرَ أَرْزَقَ: بِعَنِي سِنَانًا. وَطُحْيَةُ: شِدَّةُ السَّوَادِ.
- (٩) القِرَانُ هنا: تَقَارُنُ الثَّبَلِ، وَالقَتِيرُ هنا: مَسَامِيرُ حَلْقِي الدَّرْعِ. وَالقَوَاجِزُ: القَلْقُ وَعَدْمُ التَّثْبِتِ.
- (١٠) الجَأْوَى: الَّتِي يَخَالِطُ سَوَادَهَا حُمْرَةً، وَقَصْرَهَا هنا ضَرُورَةٌ، وَمُلْمَلِمَةٌ، أي: مُجْتَمِعَةٌ. وَالصَّرِيمَةُ: اللُّهْبُ المُتَوَقَّدُ. وَالعَابُ: الشَّجَرُ المَلْتَفُ.
- (١١) الصَّعْدَةُ: القَنَاةُ المُسْتَوِيَّةُ، وَالحَطِيّیُّ: الرِّمَاحُ. وَالفِیءُ: الظَّلُ.
- (١٢) أَبُو كَرِبٍ: مَلِكٌ مِنَ ملوكِ البِیْمَنِ، وَتُبَّعٌ: كَذَلِكَ أَيْضًا، وَبَسَالَتِهَا: شِدَّتُهَا وَكَرَاهِيَتُهَا.

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبِّنَا نُهَدَى بِهَا
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا
حِكْمًا يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ
جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَنِي تُغَالِبَ رَبِّهَا
بِلِسَانٍ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ^(١)
مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَخْرَابِ
حَرَجًا وَيَفْهَمُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ^(٢)
فَلْيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْعَلَابِ^(٣) [٧٦٩]

قال ابن هشام: حدثني من أثنى به، قال: حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: لما قال كعب بن مالك [من الكامل]:

جَاءَتْ سَخِينَةٌ كَنِي تُغَالِبَ رَبِّهَا
فَلْيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الْعَلَابِ
قال له رسول الله ﷺ: (١/٢٠٢) «لَقَدْ شَكَرَكَ اللَّهُ يَا كَعْبُ عَلَى قَوْلِكَ هَذَا» [٧٧٠]

قصيدة لكعب بن مالك في يوم الخندق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق [من الكامل]:

مَنْ سَرَّهُ صَرْبٌ يُمَفِّعُ بَغْضَهُ
فَلَيَاتِ مَأْسَدَةٌ تُسْنُ سُوْفَهَا
دَرَبُوا بِصَرْبِ الْمُعْلَمِينَ وَأَسْلَمُوا
فِي عُضْبَةٍ نَصَرَ الْإِلَهَ نَبِيَّهُ
بَغْضًا كَمَغْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُخْرَقِ^(١)
بَيْنَ الْمَذَادِ وَبَيْنَ جِذَعِ الْخَنْدَقِ^(٢)
مُهَجَّاتٍ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ^(٣)
بِهِمْ وَكَانَ بِعَبْدِهِ دَا مَرْفَقِ^(٤)
كَالْتَّنْهِي هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرْفِقِ^(٥)

[٧٦٩] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٥١ - ١٥٣).

[٧٧٠] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن هشام، وعبد الملك بن يحيى بن مالك مجهول وقد أرسله.

(١) الْأَزْهَرُ: الْأَبْيَضُ.

(٢) الْحَرَجُ: الْحَرَامُ الضَّيِّقُ هُنَا، وَالْأَلْبَابُ: الْمُقُولُ.

(٣) سَخِينَةٌ: لَقَبٌ لِقُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَيَنْظُرُ الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ (٤/١٥٢ - ١٥٣).

(٤) الْمَغْمَعَةُ: صَوْتُ النَّهَابِ النَّارِ وَحَرِيقُهَا. وَالْأَبَاءُ: الْقَضْبُ وَيُقَالُ: الْأَعْصَانُ الْمُتَنَفِّعَةُ.

(٥) الْمَأْسَدَةُ: مَوْضِعُ الْأَسْوَدِ وَيَعْنِي بِهَا هُنَا مَوْضِعَ الْحَرْبِ. وَالْمَذَادُ: مَوْضِعٌ، وَالْجِزْعُ هُنَا: الْجَانِبُ.

(٦) الْمُعْلَمُونَ: الَّذِينَ يُعْلَمُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي الْحَرْبِ بِعَلَامَةٍ يُعْرَفُونَ بِهَا، وَالْمُهَجَّاتُ: جَمْعُ مَهْجَةٍ وَهِيَ النَّفْسُ، وَيُقَالُ: هِيَ حَيَالُ النَّفْسِ وَذَكَوْهَا. وَلِرَبِّ الْمَشْرِقِ: أَرَادَ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَحَذَفُ اللَّعْمُ بِهِ.

(٧) وَالْعُضْبَةُ: الْجَمَاعَةُ.

(٨) السَّابِقَةُ: الدَّرُوعُ الْكَامِلَةُ. وَيَحُطُّ فُضُولُهَا، أَي: يَنْجِرُ عَلَى الْأَرْضِ مَا فَضِّلَ مِنْهَا. وَالنَّهْيُ: الْغَدِيرُ مِنَ الْمَاءِ، وَالْمُتَرْفِقُ: الَّذِي تُصَفِّقُهُ الرِّيحُ فَيُجِيءُ وَيَذْهَبُ. وَمَنْ رَوَاهُ: الْمُتَرْفِقُ فَهُوَ مِنَ الرَّقَّةِ.

بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا
جَذَلَاءَ يَخْفِزُهَا نَجَادٌ مُهْتَدٍ
بِلَكُمْ مَعَ الثَّقَوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا
تَصِلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصْرُنَ بِحَطُونَا
فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا
تَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ
وَتُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مُقْلَصٍ
تَزْدِي بِفَرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَّاتِهِمْ
صُدُقٌ يُعَاطُونَ الْكَمَاةَ حُثُوفُهُمْ
أَمَرَ الْإِلَهَ بِرِنِطِهَا لِعَدُوِّهِ
لِتَكُونَ غَيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحَيْطًا
وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ
وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ
وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ

- (١) والقنبر هنا: مسامير حلقِ الدروع، وقد تقدم، والجنادب: ذكور الجراد، والشك هنا: إحكام السرد.
- (٢) الجذلاء: الذرعُ المحكَّمةُ التنج. ويخفِزُها، أي: يزقُّها ويُسْمِرُها، والتجاد: حمائلُ السيف، ومهتد، أي: سيف، وصارم، أي: قاطع. والرؤنق: اللعنان.
- (٣) الجماجم: جمعُ حُمَّمَةٍ وهي الرأس. وضاحياً، أي: بارزاً للشمس، وبله: اسمٌ سمي به الفيل ومعناه أتوك ودغ. والأكف منصوب به ومن رواه الأثف بالخفض جعل بله مصدراً أضافه إلى ما بعده، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَرَّبَ الرِّقَابِ﴾.
- (٤) قال الخشني: الفخمة، يعني بها: كتيبة، والملمومة: المَجْتَمعةُ، والمُشْرِقُ هنا: جبل، ومن رواه: كراس قُدسِ المُشْرِقِ، فيعني بقُدس هنا: جبلاً وهو غير مصروف، والمُشْرِقُ: نعتٌ له.
- (٥) كلُّ مُقْلَصٍ، يعني: فرساً خفيفاً مُسْمِراً.
- (٦) تزدِي، أي: تُسْرِعُ. والكماء: الشُّجْعان. الطلُّ: الضَّعِيفُ من المطر، والمَلِئِقُ: الذي يَبُلُّ. والثلث: البَلَلُ.
- (٧) العمائم هنا: سحابةُ العُبارِ وظلُّه، والوشج: الرِّمَاحُ. والمُزهوُّ: المُذهِبُ للنفوس.
- (٨) حَيْطٌ: جَمْعُ حَائِطٍ وهو أَسْمُ الفاعل من حاط يحوط، ودلقت. أي: قُرِبت، والثرق: جَمْعُ نازِقٍ، وهو الغاضبُ السيءُ الخَلْقِ.
- (٩) الحومات: هنا جَمْعُ حَوْمَةٍ وهي موضع القتال. وتغني، أي: تسرع.

فَبِذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِرْزَنَا وَيُصِيبُنَا مِنْ نَيْلِ ذَلِكَ بِمِرْقَى
 إِنَّ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَأَضَلُّوا عَن سَبِيلِ الْمُتَّقِي [٧٧١]^(١)
 قال ابن هشام: أنشدني بيته: «تَلُكُم مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِيَا سَنَا» وبيته: «مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ
 النَّبِيِّ» أَبُو زَيْدٍ، وأنشدني: «تَنفِي الْجُمُوعِ كَرَّاسٍ قُدْسِ الْمَشْرِقِ».

قصيدة لكعب بن مالك في يوم الخندق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق [من الطويل]:
 لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَزَامُوا دِينَنَا مَا نُودِعُ^(٢)
 أَضَامِيمٍ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدِفَ لَمْ يَذْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعُ^(٣)
 يَذُودُونَنَا عَن دِينِنَا وَتَسُدُّوهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرُّخْمَنِ رَاءَ وَسَامِعِ^(٤)
 إِذَا غَايَطُونَنَا فِي مَقَامِ أَعَانِنَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَضْرُ مِنَ اللَّهِ وَاسِعِ
 وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فَيْسًا وَقَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهُ ضَائِعِ
 هَدَانَا لِذَيْنِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّائِعِينَ صَنَائِعِ^(٥)
 قال ابن هشام: وهذه الأبيات في قصيدة له [٧٧٢].

قصيدة أخرى لكعب بن مالك في يوم الخندق

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك في يوم الخندق [من الوافر]:
 أَلَا أَبْلِغُ قُرَيْشًا أَنْ سَلَعًا وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ^(٦)

[٧٧١] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٥٣ - ١٥٤).

[٧٧٢] ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/١٥٤ - ١٥٥).

- (١) ينظر البداية والنهاية (٤/١٥٣، ١٥٤).
- (٢) لقد عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا، أي: تَجَمَّعُوا. وما نُودِعُ: هو من الْمُوَادَعَةِ، وهو الصَّلْحُ والمُهادنة.
- (٣) أَضَامِيمٍ، أي: جماعات انضمت بعضها إلى بعض، وَيَزُوى: أصاميم بالصاد المهملة ومعناه: خالصون في أنسابهم.
- (٤) يَذُودُونَنَا، أي: يَدْفَعُونَنَا ويمنعوننا.
- (٥) ينظر البداية والنهاية (٤/١٥٣ - ١٥٤).
- (٦) سَلَعٌ: اسم جبل، والعُرَيْضُ: موضع، ويَحْتَمِلُ أن يكون تصغير عِرْضِ، واجد الأغراض، وهي: أودية خارج المدينة فيها النخل والشجر. والصَّمَادُ: موضع ويمكن أن يكون جَمْعُ صَمَدٍ، وهو: المرتفع من الأرض.

نَوَاضِحٌ فِي الْحُرُوبِ مُدْرَبَاتٌ
رَوَاكِدُ يَزْحَرُ الْمَرَارُ فِيهَا
كَأَنَّ الْغَابَ وَالْبَزْدِيَّ فِيهَا
وَلَنْ نَجْعَلَ تَجَارَتَنَا اشْتِرَاءَ الْ-
بِلَادَ لَمْ نُنْزِ إِلَّا لِكَيْمَا
أَثَرْنَا سِكَّةَ الْأَنْبَاطِ فِيهَا
فَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوِيلٍ
أَجِيْبُونَا إِلَى مَا نَجْتَدِيكُمْ
وَالْأَفَاضِيْرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ
نُضْبِحُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبٍ
وَكُلِّ طِمْرَةٍ خَفِيَ حَشَاهَا
وَكُلِّ مُقْلَصِ الْأَرَابِ نَهْدٍ

- (١) النواضح: الإبل التي يُسْتَقَى عليها الماء. وحوض، يعني: آباراً ضيقة. وثقبت، أي: حفرت.
(٢) رَوَاكِدُ، معناه: ثابتة دائمة، وَيَزْحَرُ، أي: يعلو وَيَرْتَفِعُ، يقال: زَحَرَ النَّحْرُ والنهر: إذا ارتفع ماؤه وعلا، والمَرَارُ: الماء الذي يَمُرُّ فيها، ومن رواه: المَدَادُ يعني به الماء الذي يَمُدُّها. والجَمَامُ: جمع جَمَّةٍ وهي البئرُ الكثيرةُ الماء. والثَمَادُ: جمعُ ثَمَدٍ وهو الماء القليل، كذا قال الخشني.
(٣) الغاب: الشجر الملتصق. والبزدي: شيء يثبُت في البرك تُصنع منه الحُضْرُ العِلاطُ. وأجش، أي: عالي الصوت. وتبَّعَ، أي: صارت فيه بئعٌ صُفْرٌ.
(٤) دَوْسٌ: قبيلة، وكذلك: مُرَادٌ.
(٥) لم نُنْزِ، أي: لم نُحْرَثْ.
(٦) السِّكَّةُ: الصُّفُ من الخيل، والأَنْبَاطُ: قومٌ من العجم. والجَلْهَاتُ: جمعُ جَلْهَةٍ وهو ما استقبلك من الوادي: إذا نظرت إليه من الجانب الآخر.
(٧) الحُضْرُ: الجَزْري يعني الخيل. ومن رواه: كُلُّ ذِي نَظَرٍ، فَالْحَظَرُ: القَدْرُ يقال: لفلانٍ حَظَرٌ في الناس أي: قَدْرٌ، والطَوِيلُ بفتح الطاء: الفضلُ، والطَوِيلُ بضم الطاء: بخلاف العَرَضِ. والغاياتُ: جمعُ غايَةٍ، وهي حيثُ يَنْتَهِي طَلْقُ الفَرَسِ.
(٨) نَجْتَدِيكُمْ، أي: نَطْلُبُ منكم. والشُّطْرُ هنا بمعنى: النَّاجِيَةِ والقَصْدِ.
(٩) المَدَادُ: موضعٌ.
(١٠) المَطْمُومُ: الفَرَسُ التامُ الخَلْقُ.
(١١) الطِمْرَةُ: الفَرَسُ الخفيفة. وخَفِيَ، أي: مُضْطَرِبٌ. وتَدِفُ، أي: تَطِيرُ في جَرَبِهَا، يقال: دَفَّ الطائر: إذا حَرَكَ جَنَاحَيْهِ ليطير.
(١٢) المَقْلَصُ: المَسْمُومُ الشَّدِيدُ. والأَرَابُ هنا: جمعُ أَرَبَةٍ بضم الهمزة وهي القطعة من اللحم، والنَهْدُ: الغليظ، والهادي: العنقُ وأراد أنه تامُ الخَلْقِ من مُؤَخَّرٍ ومُقَدِّمٍ.

خَيْوَلٌ لَا تُضَاعُ إِذَا أَضِيعَتْ
يُنَازِعَنَّ الْأَعْيَةَ مُضِيعَاتٍ
إِذَا قَالَتْ لَنَا التُّذُرُ: اسْتَعِدُّوا
وَقُلْنَا لَنْ يُفْرَجَ مَا لَقِينَا
فَلَمْ تَرَ عَضْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا
أَشَدَّ بَسَالَةً مِنَّا إِذَا مَا
إِذَا مَا تَخُنْ أَشْرَجْنَا عَلَيْنَهَا
فَدَفْنَا فِي السُّوَابِغِ كُلِّ صَفْرِ
أَشْمٌ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ
يُعْشِي هَامَةَ الْبَطَلِ الْمُدْكِي
لِنُظْهِرَ دِينَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا

خَيْوَلُ النَّاسِ فِي السَّنَةِ الْجَمَادِ^(١)
إِذَا نَادَى إِلَى الْفَرْعِ الْمُنَادِي^(٢)
تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ
سِوَى ضَرْبِ الْقَوَانِسِ وَالْجِهَادِ^(٣)
مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ قَارٍ وَبَادٍ^(٤)
أَزْدَنَاهُ وَأَلْيَيْنَ فِي الْوِدَادِ^(٥)
جِيَادَ الْجُدَلِ فِي الْأَرْبِ الشَّدَادِ^(٦)
كَرِيمٍ غَيْرِ مُعْتَلِّثِ الزُّنَادِ^(٧)
عَدَاةً بَدَا بِبَطْنِ الْجِزْعِ عَمَادِ^(٨)
صَبِي السَّيْفِ مُسْتَرْجِي النَّجَادِ^(٩)
بِكَفِّكَ فَاهِدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ^(١٠)

قال ابن هشام: بيته: «فَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطَوَّلِ» والبيت الذي يتلوه والبيت الثالث منه والبيت الرابع منه وبيته: «أَشْمٌ كَأَنَّهُ أَسَدٌ عَبُوسٌ» والبيت الذي يتلوه عن أبي زيد الأنصاري.

(١) السَّنَةُ الْجَمَادُ: هي سَنَةُ الْقَحْطِ.

(٢) مُضِيعَاتٍ أَي: مُسْتَعِمَاتٍ.

(٣) الْقَوَانِسُ: أَعَالِي بِيضِ الْحَدِيدِ.

(٤) الْقَارِي هُنَا: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيِ، وَالْبَادِي: مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ.

(٥) الْبَسَالَةُ: الشَّدَّةُ وَالشَّجَاعَةُ.

(٦) أَشْرَجْنَا، أَي: رَبَطْنَا، وَالْجُدَلُ: جَمْعُ جَدَلَاءَ، وَهِيَ الذُّرْعُ الْمُحْكَمَةُ النَّسِجِ، وَالْأَرْبُ بِالرَّاءِ: فَهُوَ جَمْعُ أَرْبَةٍ وَهِيَ الْعُقْدَةُ الشَّدِيدَةُ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالزَّيِّ: الْأَرْبُ فَمَعْنَاهُ: الشَّدَائِدُ وَالضِّيْقُ، كَذَا قَالَ الْخَشَنِيُّ.

(٧) السُّوَابِغُ: الدَّرُوعُ الْكَامِلَةُ. وَالزُّنَادُ الْمُعْتَلِّثُ: هُوَ الَّذِي لَا يُورِي نَارًا، وَيُقَالُ الْمُعْتَلِّثُ: هُوَ الَّذِي يَفْطَعُ مِنْ شَجَرَةٍ لَا يَدْرِي أَتُورِي نَارًا أَمْ لَا.

(٨) قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرِّ الْخَشَنِيِّ:

أَشْمٌ، أَي: عَزِيزٌ، وَغَدَاةٌ نَدَا: مَنْ رَوَاهُ بِالثُّونِ فَهُوَ مِنَ الثُّدِيِّ وَهُوَ الْمَخْجَلِسُ، وَمَنْ رَوَاهُ: بَدَا بِالْبَاءِ فَمَعْنَاهُ: ظَهَرَ، وَمَنْ رَوَاهُ: يُرَى فَهُوَ مَعْلُومٌ، وَالْجِزْعُ: جَانِبُ الْوَادِي، وَيُقَالُ: مَا انْعَطَفَ مِنْهُ.

(٩) الْمُدْكِي: الَّذِي بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْقُوَّةِ، وَظَلَمِي السَّيْفِ: وَسَطُهُ. وَدُبَابُهُ: طَرْفُهُ، وَالنَّجَادُ: حِمَائِلُ السَّيْفِ.

(١٠) يَنْظُرُ سَبِيلَ الْهَدْيِ وَالرَّشَادِ (٤/٣٩٥، ٣٩٦).

قصيدة لمسافع بن عبد مناف يرثي عمرو بن عبد ود

قال ابن إسحاق: وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح، يُّبكي عمرو بن عبد ود، ويذكرُ قتلَ علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - إياه [من الكامل]:

عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ جَزَعَ الْمَدَادَ وَكَانَ فَارِسَ يَلِيلٍ^(١)
 سَمِعُ الْخَلَائِقِ مَا جِدُّ ذُو مِرَّةٍ يَنْبِغِي الْقِتَالَ بِشِكَّةٍ لَمْ يَنْكُلِ^(٢)
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ وَلَّوْا عَنْكُمْ أَنْ ابْنَ عَبِيدٍ فِيهِمْ لَمْ يَعْجَلِ
 حَتَّى تَكْتَفَهُ الْكُمَاةُ وَكُلُّهُمْ يَنْبِغِي مَقَاتِلَهُ وَلَيْسَ بِمُؤْتَلِ^(٣)
 وَلَقَدْ تَكْتَفَتِ الْأَيْسَةُ فَارِسًا بِجَثُوبٍ سَلَعَ غَيْرَ نِكْسٍ أَمِيلِ^(٤)
 تَسَلُّ النَّزَالَ عَلِيَّ فَارِسَ غَالِبٍ بِجَثُوبٍ سَلَعَ لَيْتَهُ لَمْ يَنْزِلِ
 فَأَذْهَبَ عَلِيٌّ فَمَا ظَفِرَتْ بِمِثْلِهِ فَخْرًا وَلَا لَأَقِيَتْ مِثْلَ الْمُغْضِلِ^(٥)
 نَفْسِي الْفِدَاءَ لِفَارِسٍ مِنْ غَالِبٍ لَأَقِي جِمَامَ الْمَوْتِ لَمْ يَتَحَلَّحِلِ^(٦)
 أَغْنِي الَّذِي جَزَعَ الْمَدَادَ بِمُهْرِهِ طَلَبًا لِثَارِ مَعَاشِرٍ لَمْ يَخْذَلِ

كلمة أخرى لمسافع بن عبد مناف في مقتل عمرو

وقال مسافع أيضاً يُؤنَّبُ فُرْسَانَ عمرو الذين كانوا معه فأجلوا عنه وتركوه [من

الكامل]:

عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَالْجِيَادُ يَفُودُهَا خَيْلٌ تُقَادُ لَهُ وَخَيْلٌ تُنْعَلُ^(٧)
 أَجَلَّتْ فَوَارِسُهُ وَعَادَرَ زَهْطُهُ رُكْنًا عَظِيمًا كَانَ فِيهَا أَوْلُ^(٨)
 عَجَبًا وَإِنْ أَعْجَبَ فَقَدْ أَبْصَرْتُهُ مَهْمَا تَسُومُ عَلِيَّ عَمْرًا يَنْزِلُ^(٩)
 لِاتَّبَعْدَنَ فَقَدْ أَصَبْتُ بِقَتْلِهِ

- (١) جَزَعَ، أي: قَطَعَ، وَيَلِيلٌ: وادي بَدْر.
 (٢) المِرَّةُ: الشِدَّةُ والقُوَّةُ، والشِكَّةُ: السِّلَاحُ. ولم يَنْكُلِ، أي: لم يَزِجِعْ من هِيبة ولا خَوْفٍ.
 (٣) تَكْتَفُهُ، أي: أَحَاطُوا بِهِ، والكُمَاةُ: الشُّجْعَانُ. وليس بِمُؤْتَلٍ، أي: ليس بِمُقْتَصِرٍ.
 (٤) سَلَعُ: جَبَلٌ. والنُّكْسُ: هو الدُّنْيَى مِنَ الرِّجَالِ، والأَمِيلُ: الَّذِي لَا رُفْحَ مَعَهُ، وقيل: الَّذِي لَا تُرْمَى مَعَهُ.
 (٥) الْمُغْضِلُ: الأَمْرُ الشَّدِيدُ.
 (٦) لَمْ يَتَحَلَّحِلْ، أي: لَمْ يَنْزِخْ مِنْ مَكَانِهِ.
 (٧) تُنْعَلُ، أي: تَصْفَحُ.
 (٨) أَجَلَّتْ فَوَارِسُهُ، أي: قَرَّتْ.
 (٩) تَسُومُ، أي: تَطْلُبُ وَتُكَلِّفُ.

وَهَبِيرَةُ الْمَسْلُوبِ وَلَى مُذْبِرًا عِنْدَ الْقَتَالِ مَخَافَةً أَنْ يُقْتَلُوا
 وَصِرَارًا كَانَ الْبَأْسُ مِنْهُ مُخْضَرًا وَلَى كَمَا وَلَى اللَّيْسِمُ الْأَعْرَلُ^(١)
 قال ابن هشام: وَبَغِضَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يُنَكِّرُهَا لَهُ، وقوله: «عَمْرًا يَنْزِلُ» عن غير ابن
 إسحاق.

كلمة لهبيرة بن أبي وهب يعتذر عن فراره ويرثي عمرو بن عبد ود

قال ابن إسحاق: وقال هُبَيْرَةُ بن أَبِي وَهَبٍ يَعْتَذِرُ عَنْ فِرَارِهِ، وَيُبْكِي عَمْرًا، وَيَذْكُرُ قَتْلَ
 عَلِيٍّ إِيَّاهُ [من الطويل]:

لَعَمْرِي مَا وَلَيْتُ ظَهْرِي مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ جُنْبًا وَلَا خِيْفَةَ الْقَتْلِ
 وَلَكِنِّي قَلْبْتُ أَمْرِي فَلَمْ أَجِدْ لِسِنِّي غِنَاءً إِنْ صَرَنْتُ وَلَا نَبْلِي
 وَقَفْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِي مُقَدِّمًا صَدَزْتُ كَضِرْعَامِ هَزْنِيرِ أَبِي شَيْبِلِ^(٢)
 ثَنِي عِطْفُهُ عَنْ قِرْنِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ مَكْرًا وَقَدِّمًا كَانَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي^(٣)
 فَلَا تَبْعِدُنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا وَحَقٌّ لِحُسْنِ الْمَدْحِ مِثْلُكَ مِنْ مِثْلِي
 وَلَا تَبْعِدُنْ يَا عَمْرُو حَيًّا وَهَالِكًا فَقَدْ بَنَتْ مَحْمُودَ الثَّنَا مَا جَدَّ الْأَضْلِ^(٤)
 فَمَنْ لِي طَرَادِ الْحَيْلِ تُفْدَعُ بِالْمَنَّا وَلِلْفَخْرِ يَوْمًا عِنْدَ قَرْقَرَةَ الْبُزْلِ^(٥)
 هُنَالِكَ لَوْ كَانَ ابْنُ عَبْدِ لَزَارَهَا وَفَرَجَهَا حَقًّا فَتَى غَيْرُ مَا وَغَلِ^(٦)
 فَعَنَّاكَ عَلِيٌّ لَا أَرَى مِثْلَ مَوْقِفِ وَقَفْتَ عَلَيَّ نَجْدِ الْمُقَدِّمِ كَالْفَحْلِ^(٧)
 فَمَا ظَفِرْتُ كَفَاكَ فَخْرًا بِمِثْلِهِ أَمِنْتُ بِهِ مَا عِشْتُ مِنْ زَلَّةِ الثَّغْلِ

كلمة أخرى لهبيرة بن أبي وهب

وقال هُبَيْرَةُ بن أَبِي وَهَبٍ يُبْكِي عَمْرُو بن عَبْدِ وَدٍّ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ
 إِيَّاهُ [من الطويل]:

- (١) الأعرل: الذي لا سلاح معه.
- (٢) الضرعام: الأسد. والهزير: الشديد. والشبل: ولد الأسد.
- (٣) عطفه، أي: جانبه، والقرن بكسر القاف: الذي يقاوم في شدة أو قتال.
- (٤) الثنا: الذكْر الطيب.
- (٥) تُفدع، أي: تُكف، والقرقرة: من أصوات فحول الإبل. والبزل: الإبل القوية، وضربه مثلاً للمفاجرين إذا رفعوا أصواتهم بالفخر.
- (٦) الوغل: الفاسد من الرجال.
- (٧) فعنك علي، عنك ها هنا: أسم سُمي به الفِعل ومعناه تباعد، والتجذ: الشجاع.

لَقَدْ عَلِمْتُ عَلِيًّا لُؤْيِي بْنَ عَلِيٍّ
لَفَارِسُهَا عَمَرُو إِذَا مَا يَسُومُهُ
عَشِيَّةً يَدْعُوهُ عَلِيٌّ وَإِنَّهُ
فَيَالْهَفَ نَفْسِي؛ إِنَّ عَمْرًا تَرَكَتُهُ
لَفَارِسُهَا عَمَرُو، إِذَا نَابَ نَائِبُ
عَلِيٍّ وَإِنَّ اللَّيْثَ لَا بُدَّ طَالِبُ (١/٢٠٣) (١)
لَفَارِسُهَا إِذْ خَامَ عَنْهُ الْكَتَائِبُ (٢)
بِثَرِبٍ؛ لَا زَالَتْ هُنَاكَ الْمَصَائِبُ

حسان بن ثابت يفخر بقتل عمرو

وقال حسان بن ثابت يفخر بقتل عمرو بن عبد ود [من الطويل]:

بَقِيَّتُكُمْ عَمَرُو أَبْحَنَاهُ بِالْقَنَا
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِكُلِّ مُهَيِّدٍ
وَنَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِبَدْرِ فَأَصْبَحَتْ
مَعَاشِرُكُمْ فِي الْهَالِكِينَ تَجُولُ (٣)
بِثَرِبٍ نَحْمِي وَالْحُمَاهُ قَلِيلُ
وَنَحْنُ وُلَاةُ الْحَزْبِ حِينَ نَصُولُ
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

كلمة أخرى لحسان بن ثابت في مقتل عمرو

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عمرو بن عبد ود [من الكامل]:

أَمْسَى الْفَتَى عَمَرُو بِنُ عَبْدِ يَنْتَغِي
فَلَقَدْ وَجَدَتْ سُيُوفُنَا مَشْهُورَةً
وَلَقَدْ لَقِيَتْ عَدَاةَ بَدْرِ عُضْبَةً
أَصْبَحَتْ لَا تَدْعَى لِيَوْمٍ عَظِيمَةٍ
بِجَنُوبٍ يَثْرِبَ ثَارُهُ لَمْ يُنْظَرِ (٤)
وَلَقَدْ وَجَدَتْ جِيَادَنَا لَمْ تُقْصَرِ (٥)
ضَرْبُوكَ ضَرْباً غَيْرَ ضَرْبِ الْحُسْرِ (٦)
يَا عَمَرُو أَوْ لِحْسِيمِ أَمْرٍ مُنْكَرِ (٧)
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

(١) إذا ما يسومه، أي: يكلفه.

(٢) خام، أي: رجع هيبه وخوفاً.

(٣) ينظر ديوانه ص (٣٩٥).

(٤) لم ينظر، أي: لم يؤخر.

(٥) لم تقصر، أي: لم تكف.

(٦) قال الخشني: غير ضرب الحسر. من رواه بالحاء والسين المهملتين فهو جمع حابر وهو: الذي لا

دزع عليه، ومن رواه بالحاء والشين المعجمتين فيعني به: الضعفاء من الناس، ومن رواه بالحاء

المعجمة والسين المهملة فهو جمع حابر: من الحسرات وهو الهلاك.

(٧) ينظر ديوانه ص (٣٠٦).

كلمة أخرى لحسان بن ثابت

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً [من الوافر]:

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا هَذِمٍ رُسُولاً مُغْلَغَلَةً تَحُبُّ بِهَا الْمَطِيَّ^(١)
أَكُنْتُ وَلِيَّكُمْ فِي كُلِّ كُرْهِ وَعَيْرِي فِي الرَّخَاءِ هُوَ الْوَلِيُّ؟
وَمِنْكُمْ شَاهِدٌ وَلَقَدْ رَأَيْتِي رُفِعْتُ لَهُ كَمَا أُخْتَمِلُ الصَّبِيَّ^(٢)

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعه بن أمية الديلمي، وتروى فيها آخرها [من

الوافر]:

كَبَبْتُ الْخَزْرَجِيَّ عَلَى يَدَيْهِ وَكَانَ شِفَاءَ نَفْسِي الْخَزْرَجِيَّ
وتروى أيضاً لأبي أسامة الجشمي.

كلمة أخرى لحسان بن ثابت يرثي سعداً

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت في يوم بني قريظة، يبكي سعداً بن معاذ،

ويذكر حكمه فيهم [من الطويل]:

لَقَدْ سَجَمْتُ مِنْ دَمْعِ عَيْنِي عَبْرَةً وَحَقُّ لِعَيْنِي أَنْ تَفِيضَ عَلَيَّ سَعْدُ^(٣)
قَتِيلٌ ثَوَى فِي مَعْرَكٍ فَجَعَتْ بِهِ عُيُونُ دَوَارِي الدَّمْعِ دَائِمَةُ الْوَجْدِ^(٤)
عَلَى مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثَ جَنَّةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَفَدَّهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ
فَإِن تَكُ قَدْ وَدَّعْتَنَا وَتَرَكْتَنَا وَأَمْسَيْتَ فِي غَبْرَاءِ مُظْلِمَةِ اللَّخْدِ^(٥)
فَأَنْتَ الَّذِي يَا سَعْدُ أَبْتِ بِمَشْهَدِ كَرِيمٍ وَأَثْوَابِ الْمَكَارِمِ وَالْحَمْدِ
بِحُكْمِكَ فِي حَيِّي قُرَيْظَةَ بِالَّذِي قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَيَّ عَمْدِ
فَوَافَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمَكَ فِيهِمْ وَلَمْ تَغْفُ إِذْ ذُكِرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِ
فَإِنْ كَانَ رَبُّبِ الدُّهْرِ أَمْضَاكَ فِي الْأُولَى شَرَوْا هَذِهِ الدُّنْيَا بِجَنَاتِهَا الْخُلْدِ^(٦)

(١) الْمُغْلَغَلَةُ: الرسالة تُخَمَلُ من بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَتَحُبُّ، أَي: تُسْرِعُ.

(٢) ينظر ديوانه ص (٣٩٧).

(٣) سَجَمْتُ، أَي: سَأَلْتُ يُقَالُ: سَجِمَ الدَّمْعُ: إِذَا سَالَ، وَالْعَبْرَةُ: الدَّمْعَةُ.

(٤) ثَوَى، أَي: أَقَامَ، وَالْمَعْرَكُ: مَوْضِعُ الْقِتَالِ فِي الْحَرْبِ.

(٥) فِي غَبْرَاءَ، يَعْنِي: الْقَبْرَ، وَاللَّخْدُ: مَا يُلْخَدُ لِلْمَيِّتِ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ.

(٦) فِي الْأُولَى شَرَوْا. الْأُولَى هُنَا بِمَعْنَى: الَّذِينَ، وَشَرَوْا: صِلْتُهُ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ.

فَنِعْمَ مَصِيرُ الصَّادِقِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمًا لِلرَّجَاهَةِ وَالْقَضْدِ [٧٧٣] (١)

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت يرثي سعداً والشهداء

وقال حسان بن ثابت أيضاً يبيِّنُ سعد بن معاذ ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ من الشهداء، ويذكرُهُم بما كان فيهم من الخير [من الطويل]:

أَلَا يَا لِقَوْمِي هَلْ لِمَا حُمَّ (٢) دَافِعُ؟
تَذَكَّرْتُ عَضْرًا قَدْ مَضَى فَتَهَافَّتَتْ
صَبَابَةٌ وَجَدِ ذَكْرَتُنِي إِخْوَةٌ
وَسَعْدٌ فَأَضْحُوا فِي الْجَنَانِ وَأَوْحَشَتْ
وَقَوَا يَوْمَ بَذْرِ لِلرَّسُولِ وَقَوَّضَهُمْ
دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقِّ وَكُلُّهُمْ
فَمَا تَكَلَّوْا حَتَّى تَوَالَّزَا جَمَاعَةً
لِأَنَّهُمْ يَزْجُونَ مِنْهُ شَفَاعَةً
فَذَلِكَ يَا خَيْرَ الْعِبَادِ بِلَاؤُنَا
لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلَفْنَا (٣/٢٠٣ ب)
وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمُلْكَ لِلَّهِ وَخَذَهُ
وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ؟
بَنَاتُ الْحَشَا وَأَنْهَلُ مِنْهَا الْمَدَامِعُ (٤)
وَقَتَلَى مَضَى فِيهَا طَفِيلٌ وَرَافِعُ (٥)
مَنَّا زِلَّهُمْ فَالْأَرْضُ مِنْهُمْ بِلَاقِعُ (٥)
ظِلَالُ الْمَنَايَا وَالسُّيُوفُ اللَّوَامِعُ
مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعُ
وَلَا يَقْطَعُ الْأَجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ (٦)
إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا السُّبُيُونَ شَافِعُ
إِجَابَتُنَا لِلَّهِ وَالْمَوْتُ نَاقِعُ (٧)
لِأَوْلِنَا فِي مِلَّةِ اللَّهِ تَابِعُ (٨)
وَأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَاقِعُ [٧٧٤] (٩)

[٧٧٣] ذكره الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٧/٥ - ١٨).

[٧٧٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٦/٤) والصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/١٨).

(١) ينظر ديوانه ص (١١٤)، والبداية والنهاية (١٤٩/٤).

(٢) حُمَّ، أي: قُدِّرَ.

(٣) فَتَهَافَّتَتْ، أي: سَقَطَتْ بِسُرْعَةٍ، وَبَنَاتُ الْحَشَا، يعني: قَلْبَهُ وَمَا اتَّصَلَ بِهِ، وَأَنْهَلُ، أي: سَالَ.

(٤) الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشُّوقِ، وَالرَّجُودُ: الْحُزْنُ.

(٥) بِلَاقِعُ، أي: قِنَارٌ خَالِيَةٌ.

(٦) فَمَا تَكَلَّوْا، أي: مَا رَجَعُوا هَائِبِينَ، وَالْمَصَارِعُ، يعني: مَصَارِعَ الْقَتْلِ.

(٧) بِلَاؤُنَا، أي: اخْتِبَارُنَا. وَالْمَوْتُ نَاقِعُ، أي: نَابِتٌ.

(٨) لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى، يعني: السَّبْقُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَخَلَفْنَا، أي: آخَرْنَا.

(٩) ينظر ديوانه ص (٢٤٥)، والبداية والنهاية (١٥٦/٤).

قصيدة أخرى لحسان بن ثابت في بني قريظة

وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بني قُرَيْظَةَ [من الوافر]:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاهَا وَمَا وَجَدَتْ لِدُلٍّ مِنْ نَصِيرٍ^(١)
 أَصَابَهُمْ بَلَاءٌ كَانَ فِيهِ سِوَى مَا قَدْ أَصَابَ بَنِي النَّصِيرِ
 عَدَاةً أَتَاهُمْ يَهْوِي إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ كَالْقَمَرِ الْمُنِيرِ
 لَهُ خَيْلٌ مُجْتَبَةٌ تَعَادَى بِفَرْسَانٍ عَلَيْهَا كَالصُّقُورِ^(٢)
 تَرَكْنَاهُمْ وَمَا ظَفِرُوا بِشَيْءٍ دِمَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ كَالْعَبِيرِ^(٣)
 فَهُمْ صَرَغَى تَحُومِ الطَّيْرِ فِيهِمْ كَذَلِكَ يُدَانُ ذُو الْعَعْدِ الْفَخُورِ^(٤)
 فَأَنْذِرْ مِثْلَهَا نُضْحًا قُرَيْشًا مِنَ الرَّحْمَنِ إِنْ قَبِلْتَ نَذِيرِي^(٥) [٧٧٥]

كلمة أخرى لحسان بن ثابت في بني قريظة

وقال حسان بن ثابت في بني قُرَيْظَةَ [من الوافر]:

لَقَدْ لَقِيَتْ قُرَيْظَةُ مَا سَاهَا وَحَلَّ بِحِضْنِهَا دُلٌّ ذَلِيلٌ
 وَسَعْدٌ كَانَ أَنْذَرَهُمْ بِنُضْحٍ بِأَنَّ إِلَهُكُمْ رَبُّ جَلِيلٌ
 فَمَا بَرِحُوا بِتَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى فَلَاهُمْ فِي بِلَادِهِمُ الرَّسُولُ^(٦)
 أَحَاطَ بِحِضْنِهِمْ مِثْلًا صُفُوفٍ لَهُ مِنْ حَرٍّ وَقَعْتِهِمْ صَلِيلٌ^(٧) [٧٧٦]

[٧٧٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٥/٤) والصالحي في سبيل الهدى والرشاد (١٧/٥).

[٧٧٦] ذكره الصالحي في «سبيل الهدى والرشاد» (١٧/٥).

(١) قال الخشني: مأسأها: أراد ما ساءها، فقلب، والعرب تفعل ذلك في بعض الأفعال، يقولون: رأى ورأى في معنى واحد على جهة القلب.

(٢) خيلٌ مجتَبَةٌ، المجتَبَةُ: هي التي تُجْتَبُ أي: تُقاد، وتعادى، أي: تجرى وتسرع.

(٣) العبيرُ هنا: الرُّعْفَران.

(٤) تحومُ الطير، أي: تستديروهم، ويدان، أي: يُجزى، والعند: الخروج عن الحق، والفجور من الفخر، وحَفَّضَه هنا على الجوار، وقد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء في القوافي. وكذلك حَكُم من رِوَاةِ الفُجُور، من الفجور.

(٥) التذيرُ هنا: مصدرٌ قال الله تعالى: ﴿مَسْتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾، أي: إنذارِي، ومثله التذكيرُ في أنه مصدرٌ.

- ينظر ديوانه ص (٢٤٥)، والبداية والنهاية (١٥٥/٤).

(٦) فلأهم، أي: قتلهم بالسيف، يُقال: قَلَيْتُ رأسه بالسيف: إذا ضَرَبْتَهُ به.

(٧) الصليلُ: الصوت كصليل الفخار وغيره.

كلمة أخرى لحسان بن ثابت في بني قريظة

وقال حسان بن ثابت أيضاً في يوم بني قريظة [من الوافر]:

تَفَاقَدَ مَعْشَرَ نَصْرُوا قُرَيْشًا وَلَيْسَ لَهُمْ بِبَلَدَتِهِمْ نَصِيرٌ^(١)
 هُمْ أَوْثَرُوا الْكِتَابَ فَضَيَّعُوهُ وَهُمْ عُمِيٌّ مِنَ التَّوْرَةِ بُوْرٌ^(٢)
 كَمَفَرْتُمْ بِالْقُرْآنِ وَقَدْ أُتِيتُمْ بِمَضْدِيقِي الَّذِي قَالَ التُّذِيرُ
 فَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ حَرِيْقٌ بِالْبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ^(٣)

أبو سفيان بن الحرث يجيب حسان بن ثابت

فأجابه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، فقال [من الوافر]:

أَدَامَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ صَنِيعِ وَحَرَّقَ فِي طَوَائِفِهَا السَّعِيرُ^(٤)
 سَتَعْلَمُ أَيُّنَا مِنْهَا بِئُزْرُهُ وَتَعْلَمُ أَيُّ أَرْضَيْنَا تَضْمِيرُ^(٥)
 قَلَوْكَانَ التُّخَيْلُ بِهَا رِكَابًا لَقَالُوا: لَا مَقَامَ لَكُمْ فَيَسِيرُوا [٧٧٧]^(٦)

جبل بن جؤال يجيب حسان أيضاً

وأجابه جبل بن جؤال التُّغَلْبِيُّ أيضاً، وبكى بني النضير وقريظة، فقال [من الوافر]:

أَلَا يَا سَعْدُ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ لِمَا لَقَيْتَ قُرَيْظَةَ وَالتُّضِيرُ
 لَعَمْرُكَ إِنَّ سَعْدَ بَنِي مُعَاذٍ غَدَاةً تَحْمَلُوا لَهُوَ الصُّبُورُ
 فَأَمَّا الْحَزْرَجِيُّ أَبُو حُبَابٍ فَقَالَ لِقَيْنُفَاعٍ: لَا تَسِيرُوا
 وَبُدَلَّتِ الْمَوَالِي مِنْ حُضَيْرٍ أَسْنِيداً وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ^(٧)

[٧٧٧] ذكره المحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٥/٤).

وذكره الصالحى بعضه في «سبل الهدى والرشاد» (١٧/٥).

= ينظر ديوانه ص (٢٤٤).

- (١) تَفَاقَدَ، أي: فَقَدَ بعضهم بعضاً وهو دعاء عليهم.
- (٢) بُوْرٌ، أي: ضَلَالٌ، ويُقال: هَلَكَى مِنَ الْبَوَارِ وهو الْهَلَاكُ.
- (٣) وَسَرَاةٌ بَنِي لُؤَيٍّ: خِيَارُهُم، وَالبُوَيْرَةُ: مَوْضِعُ بَنِي قُرَيْظَةَ.
- ينظر ديوانه ص (٢٥٣)، وَالبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ (١٥٥/٤).
- (٤) الطَّوَائِفُ هُنَا: التَّوَاحِي، وَالسَّعِيرُ: النَّارُ الْمُتَلَهِّبَةُ.
- (٥) التُّزْرَةُ: الْبُعْدُ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَنْتَزِرُهُ عَنِ الْأَقْدَارِ أَي: يُبَاعِدُ نَفْسَهُ عَنْهَا. وَتَضْمِيرُ: مَنْ رَوَاهُ بِالضَّادِ الْمَعْجَمَةُ، فَهُوَ بِمَعْنَى: تَضَرُّرٌ، يُقَالُ: ضَارَهُ يَضْمِيرُهُ بِمَعْنَى ضَرَّهُ، وَمَنْ رَوَاهُ بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ، فَمَعْنَاهُ: تَشَقُّقٌ وَتَقَطُّعٌ.
- (٦) ينظر البداية والنهاية (١٥٥/٤).
- (٧) بُدَلَّتِ الْمَوَالِي مِنْ حُضَيْرٍ، الْمَوَالِي هُنَا: الْحُلَفَاءُ، وَحُضَيْرٌ هُنَا: قَبِيلَةٌ، وَأَسْنِيدٌ: قَبِيلَةٌ أَيْضاً.

وَأَقْفَرَتِ الْبُؤَيْرَةُ مِنْ سَلَامٍ
وَقَدْ كَانُوا بِبَلَدَتِهِمْ يُسْقَلَاءَ
فَإِنْ يَهْلِكَ أَبُو حَكَمٍ سَلَامٌ
وَكُلُّ الْكَاهِنِينَ وَكَانَ فِيهِمْ
وَجَدْنَا الْمَجْدَ قَدْ ثَبَتُوا عَلَيْهِ
أَقِيمُوا يَا سِرَاءَ الْأَوْسِ فِيهَا
تَرَكْتُمْ قِذْرَكُمْ لَا شَيْءَ فِيهَا
وَسَفِيَةَ وَابْنِ أَخْطَبٍ فَهِيَ بُورٌ^(١)
كَمَا ثَقُلْتَ بِمَيْطَانَ الصُّخُورِ^(٢)
فَلَا زَتْ السُّلَاحَ وَلَا ذُؤُورُ^(٣)
مَعَ اللَّيْلِ الْخَضَارِمَةَ الصُّقُورُ^(٤)
بِمَجْدٍ لَا تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ^(٥)
كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَخْرَازَةِ عُورُ^(٦)
وَقِذْرُ الْقَوْمِ حَامِيَةَ تَفُورُ

مَقْتَلُ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ^(٧)

الخزرج تستأذن رسول الله في قتله

قال ابن إسحاق: ولما انقضت شأن الخندق وأمر بني قُرَيْظَةَ، وكان سَلَامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ - وهو أَبُو رَافِعٍ - فِيمَنْ حَزَبِ الْأَحْزَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَتْ الْأَوْسُ قَبْلَ أُحُدٍ قَدْ قَتَلَتْ كَعْبَ بْنَ الْأَشْرَفِ فِي عِدَاوَتِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَخْرِيبِهِ عَلَيْهِ؛ اسْتَأْذَنْتِ الْخَزْرَجُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي قَتْلِ سَلَامِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَهُوَ بِخَيْرٍ، فَأَذِنَ لَهُمْ [٧٧٨].

تنافس الأوس والخزرج في مرضاة رسول الله

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهْرِيُّ، عن عبد الله بن مالك، قال: وكان مما صَنَعَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ هَدَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ: الْأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ، كَانَا يَتَّصَلُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٨) تَصَاوُلَ الْفَخْلَيْنِ؛ لَا تَضَعُ الْأَوْسُ شَيْئاً فِيهِ

[٧٧٨] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٣/٤) من طريق ابن إسحاق به .
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٦/٤) عن ابن إسحاق .

- (١) الْبُؤَيْرَةُ: موضع وقد تقدم، وبُورٌ هنا معناه: هَالِكَةٌ.
- (٢) مَيْطَانَ بفتح الميم وكسرها: اسم جبل.
- (٣) الرُّثُ: الْحَلَقُ، والدُّؤُورُ: الدَّارِسُ الْمُتَغَيِّرُ.
- (٤) الْخَضَارِمَةُ: الْأَجْوَادُ الْكِرْمَاءُ، واحدهم: خَضْرِيمٌ.
- (٥) لَا تُغَيِّبُهُ الْبُدُورُ، أراد: لَا تُغَيِّرُهُ الشُّهُورُ وَالدهورُ؛ لِأَنَّ الْبُدُورَ تَتَكَوَّرُ فِيهَا.
- (٦) عُورُ: جمع أُعْوَرٍ.
- (٧) هو سلام وقيل: عبد الله بن أبي الحقيق اليهودي لعنه الله.
- (٨) كَانَا يَتَّصَلُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يقال: تَصَاوَلُ الْفَخْلَانِ: إِذَا حَمَلَ هَذَا عَلَى هَذَا وَهَذَا عَلَى هَذَا، =

عن رسول الله ﷺ غناء^(١) إلا قالت الخزرج: واللّه، لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله ﷺ (٢٠٤/أ) في الإسلام، قال: فلا ينتهون حتى يوقموا مثلها، وإذا فعلت الخزرج شيئاً، قالت الأوس مثل ذلك.

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله ﷺ قالت الخزرج: واللّه لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً، قال: فتذاكروا من رجل لرسول الله ﷺ في العداوة كابن الأشرف؟ فذكروا ابن أبي الحقيق، وهو بخبير، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في قتله، فأذن لهم؛ فخرج إليه من الخزرج من بني سليمة خمسة نفر: عبد الله بن عتيك، ومسعود ابن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة الحرث بن ربيع، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم، فخرجوا: وأمر عليهم رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك؛ ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله، قال: وكان في عليّة له إليها عجلة^(٢)، قال: فاستندوا فيها^(٣) حتى قاموا على بابه، فاستأذنوا عليه، فخرجت إليهم امرأته، فقالت: من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، قالت: ذاكم صاحبكم، فادخلوا عليه، قال: فلما دخلنا عليه أغلقنا علينا وعليها الحجرة تخوفاً أن تكون دونه مجاورة^(٤) تحول بيننا وبينه، قالت: فصاحت امرأته فقوهت بنا^(٥)، وابتدزناه وهو على فراشه بأسيفنا، فوالله ما يدلتنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية^(٦) ملقاة، قال: ولما صاحت بنا امرأته جعل الرجل، منا يرفع عليها سيفه، ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكف يده، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل، قال: فلما صرنا بأسيفنا، تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى، أنفذه، وهو يقول: قطني قطني، أي: حسبي حسبي، قال: وخرجنا، وكان عبد الله بن عتيك رجلاً سيء البصر، قال: فوقع من الدرجة فوثبت يده^(٧) وثناً شديداً (ويقال: رجله؛

= وأراد أن كل واحد من الجيشين كان يدفع عن رسول الله ﷺ ويتفاخران بذلك، فإذا فعل أحدهما شيئاً فعل الآخر مثله.

- (١) غناء، أي: متفعم ودفع عنه، وقد تقدم.
- (٢) العجلة هنا: جذع النخلة ينقر في مواضع منه ويجعل كالسلم فيصعد عليه إلى الغلابي والغرف.
- (٣) استندوا فيها، أي: علوا.
- (٤) مجاورة، أراد بالمجاورة، والمجاورة: حركة تكون بينهم وبينه.
- (٥) قال الخشني ورويت: قوهت بنا، أي: رفعت صوتها تشهراً به.
- (٦) القباطي: ثياب بيض تضع بمصر واجدها: قبطية، وقبطية بضم الفاف وكسرهما.
- (٧) فوثبت يده، يقال: وثت يد الرجل: إذا أصاب عظمها شيء ليس بكسر. وقال بعض اللغويين: الوثاء إنما هو توجع في اللحم لا في العظم.

فيما قال ابن هشام: وحملناه حتى تأتي به منتهراً^(١) من عيونهم فدخل فيه، قال: فأوقدوا النيران، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا، قال: حتى إذا يسوا رجعوا إلى صاحبهم، فأكتفوه وهو يقضي بينهم، قال: فقلنا: كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات؟ قال: فقال لنا رجل منا: أنا أذهب فأنظر لكم، قال: فانطلق حتى دخل في الناس، قال: فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه، وتحديثهم تقول: أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكدت نفسي، وقلت: أتى ابن عتيك بهذه البلاد؟ ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه، ثم قالت: فإظ^(٢) وإله يهود، فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها، قال: ثم جاءنا فأخبرنا الخبر، فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله، واختلفنا عنده في قتله: كلنا يدعيه، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هاتوا أسيافكم» قال: فجنناه بها، فنظر إليها، فقال لسيف عبد الله بن أنيس: «هذا قتله، أرى فيه أثر الطعام» [٧٧٩].

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبي الحقيق [من الكامل]:

[٧٧٩] إسناده ضعيف لإرساله.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣٣/٤ - ٣٤) من طريق ابن إسحاق به.
 وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٦/٤) من طريق ابن إسحاق.
 وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٢١٥/٣) رقم (٥٣٨٢) عن معمر عن الزهري عن ابن كعب، ابن مالك مرسلأ أيضاً.
 وأخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٩١/٢) عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مرسلأ.
 وللحديث طريق موصول.
 أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٦/٣) من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عبد الله بن عبد الله بن أنيس عن أبيه به.
 وعبد الله مجهول.
 وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٤٩٧/٢ - ٤٩٨) من طريق إبراهيم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه عن أمه عن عبد الله بن أنيس به.
 وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٠١/٦) وقال: فيه إبراهيم بن إسماعيل، وهو مجمع على ضعفه.

(١) المنتهر: مَدخل الماء من خارج الحِضن إلى داخله.

(٢) فإظ الرجل، معناه: مات. قال الشاعر:

لا يَدْفِئُون مِثْلَهُمْ مَنْ قَاطَا.....

آيات حسان في مقتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق

- لِلَّهِ ذُرٌّ عِصَابَةٌ لَأَقِيَّتَهُمْ (٢٠٤ ب) يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ (١)
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخِفافِ إِلَيْكُمْ مَرَحاً كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفٍ (٢)
حَتَّى أَتَوْكُم فِي مَحَلِّ بِلَادِكُمْ فَسَقَوْكُم حَتْفاً بِبَيْضِ دُفْفٍ (٣)
مُسْتَنْصِرِينَ لِنُضْرٍ دِينَ نَبِيِّهِمْ مُسْتَنْصِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفٍ [٧٨٠] (٤)
قال ابن هشام: قوله: «دُفْفٌ» عن غير ابن إسحاق.

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

اجتماع عمرو بن العاص بقوم من خالصائه وتشاورهم في أمر النبي

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن أبي حبيب، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي، قال: حدثني عمرو بن العاص من فيه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب، عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يزورون رأبي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلموا والله إنني أرى أمر محمد يغلو الأمور علواً منكراً، وإنني قد رأيت أمراً فما تزورون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فتكون عنده؛ فإن ظهر محمد على قومنا، كنا عند النجاشي فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فتحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خيراً، قالوا: إن هذا الرأي فرق، قلت: فاجمعوا لنا ما تهدي به، وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم^(٥).

عمرو بن العاص وأصحابه يذهبون إلى الحبشة

فجمعنا له أدماً كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن

[٧٨٠] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥٧/٤) عن ابن إسحاق.

- (١) العِصَابَةُ: الجماعة من الناس.
(٢) ويرى: البيض الرقاق، يعني بها: السيوف، ومرحاً يعني: نشاطاً، والعرين: غابة الأسد، ومغريف أي: ملقأ الأغصان.
(٣) الدُفْفُ: السريعة القتل، يقال: دُفِفْتُ على الجريح: إذا أسرعت قتلته.
(٤) الأمر المُجْجِفُ: هو الذاهب بالنفوس والأموال.
(٥) الأدم: الجلود، واحدها: أديم.

أَمِيَّةَ لُضْمَرِيٍّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ بعثه إليه في شأنِ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا عَمْرُو بْنُ أَمِيَّةَ الضَّمْرِيٍّ لَوْ قَدْ دَخَلْتُ عَلَى النَّجَاشِيِّ لَسَأَلْتَهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَانِيهِ، فَضَرَبْتِ عُنُقَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ رَأَيْتُ قَرِيشَ أُنِي قَدْ أَجْزَأَتْ عَنْهَا^(١) حِينَ قَتَلْتُ رَسُولَ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَسَجَدْتُ لَهُ كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِصَدِيقِي: أَهْدَيْتِ إِلَيَّ مِنْ بِلَادِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيْكَ أَدْمًا كَثِيرًا، قَالَ: ثُمَّ قَرَبْتَهُ إِلَيْهِ، فَأَعْجَبَهُ وَاسْتَهَاهُ.

نصيحة النجاشي لعمر بن العاص

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ وَهُوَ رَسُولُ رَجُلٍ عَدُوٍّ لَنَا، فَأَعْطَانِيهِ لِأَقْتَلَهُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَصَابَ مِنْ أَشْرَافِنَا وَخِيَارِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا أَنْفَهُ ضَرْبَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ كَسَرَهُ، فَلَمَّا انشَقَّتْ لِي الْأَرْضُ لَدَخَلْتُ فِيهَا فَرَقًا مِنْهُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَاللَّهِ لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَكْرَهُ هَذَا مَا سَأَلْتُكَ، قَالَ: أَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ رَسُولَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الْأَكْبَرُ الَّذِي كَانَ يَأْتِي مُوسَى لِتَقْتَلَهُ؟! قَالَ: قُلْتُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، أَكْذَابُ هُوَ؟ قَالَ: وَيَحْكُ يَا عَمْرُو!! أَطْعِمْنِي وَاتَّبِعْهُ؛ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَعَلَى الْحَقِّ وَلَيُظْهِرَنَّ عَلَيَّ مَنْ خَالَفَهُ كَمَا ظَهَرَ مُوسَى عَلَى فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

عمر بن العاص يسلم على يد النجاشي

قَالَ: قُلْتُ: أَنْبَأْنِي لِمَ عَلَى الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَسَطَ يَدَهُ، فَبَايَعْتُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى أَصْحَابِي، وَقَدْ خَالَ رَأْيِي عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَكُنْتُ أَصْحَابِي إِسْلَامِي.

لقي خالد بن الوليد عمرو بن العاص فأخبره أنه اعتزم الإسلام

ثُمَّ خَرَجْتُ عَامِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَسْلِمَ، فَلَقِيْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ الْفَتْحِ، وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ، فَقُلْتُ: أَيْنَ يَا أَبَا سَلِيمَانَ؟ قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَقَامَ الْمَنْسِيمُ^(٢) وَإِنَّ الرَّجُلَ لِنَبِيٍّ، أَذْهَبَ وَاللَّهِ فَأَسْلِمَ، فَحَتَّى مَتَى؟! قَالَ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا جِئْتُ إِلَّا لِأَسْلِمَ، قَالَ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَقَدَّمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَأَسْلَمَ، وَبَايَعَ، ثُمَّ دَنَوْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ يُغْفَرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي، وَلَا أَذْكَرُ مَا

(١) أَجْزَأَتْ عَنْهَا، أَي: كَفَيْتْهَا.

(٢) اسْتَقَامَ الْمَنْسِيمُ: هُوَ مَثَلٌ وَمَعْنَاهُ: تَبَيَّنَ الطَّرِيقُ وَوَضُحَ، وَأَصْلُ الْمَنْسِيمِ: طَرَفٌ خُفِّ الْبَعِيرِ. وَمَنْ رَوَاهُ: الْمَيْسِمُ فَهُوَ الْحَدِيدَةُ الَّتِي تُوسَمُ بِهَا الْإِبِلُ وَغَيْرُهَا. وَالْمَنْسِيمُ بِالنُّونِ هُوَ الصَّوَابُ، كَذَا قَالَ الشَّيْخُ أَبُو ذَرِّ الْخَسْنِيِّ فِي «الْإِمْلَاءِ».

تَأَخَّرَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (٢٠٥/أ) «يَا عَمْرُو، بَايِعْ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تَجِبُ»^(١) مَا كَانَ قَبْلَهَا» قَالَ: فبَايَعْتَهُ ثُمَّ انصرفتُ [٧٨١].

قال ابن هشام: ويقال: «فإنَّ الإسلامَ يَحُثُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الْهِجْرَةَ تُحُثُّ مَا كَانَ قَبْلَهَا».

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما، [أسلم] حين أسلما.

أبيات لابن الزبيري في خالد وعثمان بن طلحة

قال ابن إسحاق: فقال ابن الزبيري السهمي [من الطويل]:

أَنْشَدُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ حَلَفْنَا وَمَلَقْنَا نِعَالَ الْقَوْمِ عِنْدَ الْمُقْبِلِ^(٢)
 وَمَا عَقَدَ الْأَبَاءُ مِنْ كُلِّ حِلْفَةٍ وَمَا خَالِدٌ مِنْ مِثْلِهَا بِمُحَلِّلِ
 أَمْفِتَاحَ بَيْتِ غَيْرِ بَيْتِكَ تَبَتَّغِي وَمَا تَبَتَّغِي مِنْ مَجْدِ بَيْتِ مُؤْتَلِ^(٣)
 فَلَا تَأْمَنَّ خَالِدًا بَعْدَ هَذِهِ وَعُثْمَانَ جَاءَا بِالذَّهْنِ الْمَعْضَلِ^(٤)
 وكان قنح قرظلة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة، وولي تلك الحجة المشركون [٧٨٢].

[٧٨١] إسناده ضعيف.

حبيب بن أبي أوس مقبول: يعني عند المتابعة وإلا فهو ليس، كما نص على ذلك الحافظ في مقدمة «التقريب».

وينظر «التقريب» (١٤٨/١).

وأخرجه أحمد (١٩٨/٤ - ١٩٩) والبيهقي في «الدلائل» (٣٢٦/٤) وفي «السنن الكبرى» (١٢٣/٤) كتاب السير: باب ترك أخذ المشركين بما أصابوا، لا كلهم من طريق ابن إسحاق به.

والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٥٤/٩) وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجاله ثقات. قلت: وفيه نظر؛ لما تقدم.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٦١/٤ - ١٦٢) من طريق ابن إسحاق.

[٧٨٢] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٦٢/٤ - ١٦٣) عن ابن إسحاق.

(١) تُجِبُ: بالجيم أي: تُقَطِّعُ ومن قال: تُحُثُّ، فمعناه: تُنْقِطُ.

(٢) المقبل هنا: موضع تقبيل الحجر الأسود.

(٣) المؤتل: القديم.

(٤) الذهن: أسم من أسماء الداهية، والمعضل: الشديدة.

وينظر البداية والنهاية (١٦٣/٤).

غَزْوَةُ بَنِي لَحْيَانَ (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قال: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ،
عن محمد بن إسحاق المطلبِيّ، قال:

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ذا الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمِ وَصَفْرَاءَ، وَشَهْرَيْ رَبِيعٍ، وَخَرَجَ
جُمَادَى الْأُولَى (٢) عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ فَتْحِ بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ يَطْلُبُ بِأَصْحَابِ
الرُّجْبِيعِ حُبَيْبِ بْنِ عَدِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّامَ؛ لِيُصِيبَ مِنَ الْقَوْمِ غِرَّةً (٣) فَخَرَجَ
مِنَ الْمَدِينَةِ ﷺ وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ.

قال ابن إسحاق: فَسَلَّكَ عَلَى عُرَابِ جَبَلِ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ
عَلَى مِخْيِصٍ، ثُمَّ عَلَى الْبَثْرَاءِ، ثُمَّ صَفَقَ (٤) ذَاتَ الْيَسَارِ، فَخَرَجَ عَلَى بَيْنٍ (٥)، ثُمَّ عَلَى
صُخَيْرَاتِ الْيَمَامِ، ثُمَّ اسْتَقَامَ بِهِ الطَّرِيقُ عَلَى الْمَحْجَّةِ مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ، فَأَعَدَّ السَّيْرَ (٦) سَرِيعاً،
حَتَّى نَزَلَ عَلَى عُرَانَ، وَهِيَ مَنَازِلُ بَنِي لَحْيَانَ، وَعُرَانَ: وادٍ بَيْنَ أَمَجٍّ وَعُسْفَانَ، إِلَى بَلَدٍ
يُقَالُ لَهُ: سَيَّأَةُ، فَوَجَدَهُمْ قَدْ حَذِرُوا وَتَمَنَّعُوا فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ.

فلما نزلها رسول الله ﷺ وأخطأه مِنْ غِرَّتِهِمْ مَا أَرَادَ، قال: «لَوْ أَنَا هَبَطْنَا عُسْفَانَ لَرَأَى
أَهْلُ مَكَّةَ أَنَا قَدْ جِئْنَا مَكَّةَ»؛ فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى نَزَلَ عُسْفَانَ، ثُمَّ بَعَثَ
فَارِسِيِّنَ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى بَلَغُوا كُرَاعَ الْعَمِيمِ ثُمَّ كَرَّأَ، وَرَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلاً، فَكَانَ
جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ حِينَ وَجَّهَ رَاجِعاً: «أَيُّونَ تَأْتِيُونَ إِنْ شَاءَ

(١) لحيان. بكسر اللام وسكون المهملة: نسبة إلى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر.

(٢) اختلفوا في أي شهر وفي أي سنة كانت هذه الغزوة، فقال ابن سعد: كانت هذه الغزوة لهلال ربيع
الأول سنة ست، وصحح شيخه محمد بن عمر: أنها في سنة ست في رجب، وقال ابن إسحاق في
رواية البكائي، وسلمة بن الفضل: على رأس ستة أشهر في جمادى الأولى، وقال في رواية يونس
كما ذكره الحاكم: في شعبان، وقال ابن حزم: الصحيح أنها في السنة الخامسة، وذكرها بعضهم
أنها في السنة الرابعة، وجزم الذهبي في تاريخ الإسلام وغيره من العلماء: بأنها في السادسة،
وصححه في البداية. ينظر السبل ٣٠/٥ - ٣١.

(٣) الغزوة: الغفلة.

(٤) صَفَقَ، معناه: عدل نحوها ومال إليها.

(٥) فَخَرَجَ عَلَى بَيْنٍ، وَيُرْوَى: عَلَى بَيْنٍ، وَحِكَاةُ كُرَاعِ بَيْنَ بَيَاتَيْنِ، الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ، وَالثَّانِيَةٌ سَاكِنَةٌ، وَهُوَ
اسم موضع، كذا قال الخشني.

(٦) وَأَعَدَّ السَّيْرَ يُعِدُّهُ إِعْدَاداً وَهُوَ بِمَعْنَى: أَسْرَعَ، وَوَعْتَاءُ السَّفَرِ: مَشَقَّتُهُ وَشِدَّتُهُ، وَالْكَأْبَةُ: الْحُزْنُ.

اللَّهُ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُتَقَلِّبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ» والحديث في غزوة بني لحيان عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، عن عبد الله بن كعب بن مالك [٧٨٣]، فقال كعب بن مالك في غزوة بني لحيان [من الطويل]:

لَوْ أَنَّ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا تَنَاظَرُوا لَقُوا عُصْبًا فِي دَارِهِمْ ذَاتَ مُضَدِّ (١)
لَقُوا سَرَعَانًا يَمْلَأُ السَّرْبَ رَوْعُهُ أَمَامَ طَحُونٍ كَالْمَجْرَةِ فَيَلْتَقِ (٢)
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا وِبَارًا تَتَّبَعَتْ شِعَابَ حِجَانَ غَيْرِ ذِي مُتَنَفِّقِ [٧٨٤] (٣)

غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ (٤)

سبب غزوة ذي قرد

ثم قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينة، فلم يَقُمْ بها إلا ليالِي قلائِلَ، حتى أَعَارَ عِيْنَتَهُ بن

[٧٨٣] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٥٩٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٣٦٤ - ٣٦٥) كلاهما عن ابن إسحاق.

وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢١٢) و«البداية والنهاية» (٤/٩٤ - ٩٥) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/٣٠ - ٣١).

[٧٨٤] ذكره الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/٣٠).

(١) لو أن بني لحيان كانوا تناظروا، أي: انتظرو بعضهم بعضاً، والعُصْب: الجماعات.
(٢) السَّرَعَانُ: أولُ القوم، والسَّرْبُ بفتح السين: الطريق، ويكسر السين: الثُّقْسُ، والرَّوْعُ: الفَرْعُ، وَطَحُونٌ: كتيبةٌ تَطْحَنُ كُلَّ ما تَمُرُ به، والمَجْرَةُ هنا: مَجْرَةُ السماء وهو البياض المُسْتَطِيل بين الشجوم، وقِيلَ، أي: كتيبةٌ شديدة.

(٣) قال الشيخ أبو ذر الخشني:
الوَبَارُ: جَمْعٌ وَبَرٍ وهي دُوَيْبَةٌ على قَدْرِ الهَرِّ تُشْبِهُ بها العربُ الضَّعْفَاءُ، والشُّعَابُ: جَمْعٌ شِعْبٍ وهو المُتَخَفِضُ بين جبليْن، وَحِجَانٌ بالنون، أي: مُعَوَّجَةٌ. والأَحْحَنُ: المُعَوَّجُ. ومن رواه: حِجَارٌ بالزاي فيعني: أرض مَكَّة وما يليها. ومن رواه حِجَارٌ بالراء: فهو جَمْعٌ حِجْرٍ. غَيْرِ ذِي مُتَنَفِّقٍ، أي: ليس له بابٌ يخرجُ منه وأصله من التَّافِقَاءِ وهو أحدُ أبوابِ حِجْرَةِ الزَبْرُوعِ إذا أخذ عليه من بابِ الجُحْرِ حَرَجَ عليه.

- ينظر البداية والنهاية (٤/١٧٠).

(٤) ذو قَرْدٍ - بفتح القاف والراء، وحُكِي الضَّمُّ فيها، وحُكِي ضمُّ أوله وفتح ثانيه. قال الحازمي - رحمه الله - الأوَّلُ ضبطُ أصحاب الحديث، والضمُّ عن أهل اللغة، وقال البلاذري - رحمه الله - الصَّوابُ =

حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ فِي خَيْلٍ مِنْ عَطْفَانَ عَلَى لِقَاحٍ^(١) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغَابَةِ^(٢)، وَفِيهَا (٢٠٥/ب) رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَامْرَأَةٌ لَهُ، فَفَقَتَلُوا الرَّجُلَ وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ [٧٨٥].

[٧٨٥] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٨٦/٤ - ١٨٧) من طريق ابن إسحاق قال: حدثنا عاصم بن =

الأول: وهي على نحو بريد مما يلي بلاد عطفان، وقيل: على مسافة يوم، قال السهيلي: والقرد في اللغة الصوف. ينظر سبل الهدى (١٠٥/٥، ١٠٦).

(١) اللقّاح: الإبل الحوامل، وذوات الألبان تُسمّى أيضاً: لِقَاحًا.
(٢) قال البخاري في صحيحه في غزوة ذي قرد: كانت قبل خيبر بثلاث، وذكرها بعد الحديبية قبل خيبر. قال الحافظ: ويؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد ومسلم من حديث ياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر قصة الحديبية، ثم قصة ذي قرد، وقال في آخرها: فرجعنا - أي من الغزوة - إلى المدينة، فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر. وأما ابن إسحاق، ومحمد بن عمر وابن سعد فقالوا: كانت غزوة ذي قرد في سنة ست قبل الحديبية.

قال محمد بن عمر وابن سعد: في ربيع الأول.

وقيل: في جمادى الأولى.

وقال ابن إسحاق: في شعبان فيها، فإنه قال: كانت غزوة بني لحيان في شعبان سنة ست، فلما رجع رسول الله ﷺ - إلى المدينة لم يقم إلا ليالي حتى أغار عيينة بن حصن على لِقَاحِهِ - ﷺ - قال ابن كثير: وما ذكره البخاري أشبه بما ذكره ابن إسحاق.

وقال أبو العباس القرطبي - وهو شيخ صاحب التذكرة والتفسير - تبعاً لأبي عمر - رحمهم الله: لا يختلف أهل السير أنّ غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية، ويحتمل أن يكون ما وقع في حديث سلمة وهم من بغض الزواة.

قال: ويحتمل أن يجمع بأن يقال: يُحتمل أن يكون - ﷺ - أغزى سريةً فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها، فأخبر سلمة عن نفسه وعمّن خرّج معه، يعني حيث قال: خرجنا إلى خيبر قال: ويؤيده أن ابن إسحاق ذكر أن رسول الله ﷺ - أغزى إليها عبد الله بن رَوَاحَةَ قبل فتحها مرتين. انتهى.

قال الحافظ - رحمه الله - تعالى: وبيّنا الحديث بأبي هذا الجمع؛ فإن فيه بعد قوله: خرّجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ فجعل عمي يرتجز بالقوم، وفيه قول النبي - ﷺ - من السابق وفيه مبارزة عمه لمرحب وقتل عامر، وغير ذلك ممّا وقع في غزوة خيبر حيث خرج إليها رسول الله ﷺ - فعلى هذا مما في الصحيح أصح مما ذكره أهل السير.

قال الحافظ: ويحتمل في طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقّاح وقعت مرتين؛ الأولى: التي ذكرها ابن إسحاق وهي قبل الحديبية، والثانية: بعد الحديبية قبل الخروج إلى خيبر.

وكان رأس الذين أغاروا عبد الرحمن بن عيينة كما في سياق سلمة عند مسلم، ويؤيده أن الحاكم ذكر في الإكليل أنّ الخروج إلى ذي قرد تكرر، ففي الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد، وفي الثانية خرج إليها النبي ﷺ - في ربيع الآخر سنة خمس، والثالثة هذه المُختلف فيها - انتهى. فإذا ثبت هذا قوي الجمع، الذي دكرته، والله أعلم. ينظر السبل (١٠٦/٥، ١٠٧).

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، كُله قد حدثت عن غزوة ذي قرد بعض الحديث، أنه كان أول من نذر بهم^(١) سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله، معه فرس له يقوده، حتى إذا علا نية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف في ناحية سلع، ثم صرخ: «واصباحاه» ثم خرخ يشتد في آثار القوم، وكان مثل السبع، حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل، ويقول إذا رمى [من منهوك الرجز]:

خُذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(٢)
 فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمي رمى، ثم قال [من منهوك الرجز]:

خُذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ
 قال: فيقول قائلهم: أُونِكِعْنَا هُوَ أَوَّلَ النَّهَارِ.

رسول الله ينادي بالفرز فيقبل عليه فرسان أصحابه

قال: وَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صِبَاخُ ابْنِ الْأَكْوَعِ، فَصَرَخَ بِالْمَدِينَةِ: الْفَرَزُ الْفَرَزُ، فترامت الخيول إلى رسول الله ﷺ وكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان: المقداد بن عمرو، وهو الذي يقال له: المقداد بن الأسود، حليف بني زهرة، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله ﷺ بعد المقداد من الأنصار: عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء أحد بني عبد الأشهل، وسعد بن زيد أحد بني كعب بن عبد الأشهل، وأسند بن ظهير أخو بني حارثة بن الحرث، يشك فيه، وعكاشة بن مخصن أخو بني أسد بن خزيمه، ومحرر بن نضلة أخو بني أسد ابن خزيمه، وأبو قتادة الحرث بن ربعي أخو بني سلمه، وأبو عياش وهو عبيد بن زيد بن الصامت أخو بني زريق.

== عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم فذكره. وذكره الحافظ ابن كثير في «البدية والنهاية» (١٧٠/٤ - ١٧١).

وينظر «الدرر في اختصار المغازي والسير» (ص ٢١٤) و«سبل الهدى والرشاد» (٩٥/٥).

(١) نذر بهم: ويقال: نذرت بهم: إذا علمت بهم فاستغذت لهم.
 (٢) اليوم يوم الرضع: هو جمع راضع، وهو اللثيم. والمعنى: اليوم يوم هلاك اللثام. ينظر البداية والنهاية (١٧١/٤).

رسول الله يرسل الفرسان في طلب القوم

فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمرَ عليهم سَعْدُ بن زيد - فيما بلغني - ثم قال: «أَخْرِجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى أَلْحَقَكَ فِي النَّاسِ» وقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فيما بَلَغَنِي عن رجالٍ من بني زُرَيْقٍ - لأبي عِيَّاشٍ: «يَا أَبَا عِيَّاشِ، لَوْ أُعْطِيتَ هَذَا الْفَرَسَ رَجُلًا هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَجَحَ بِالْقَوْمِ» قال أبو عِيَّاشٍ: فقلتُ: يا رسولَ الله، أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ، ثُمَّ ضَرَبْتُ الْفَرَسَ، فَوَاللَّهِ مَا جَرَى بِي حَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى طَرَحَنِي، فَعَجِبْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أُعْطِيتَهُ أَفْرَسَ مِنْكَ!» وأنا أقول: أنا أَفْرَسُ النَّاسِ!! فزعم رجالٌ من بني زُرَيْقٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْطَى فَرَسَ أَبِي عِيَّاشٍ مُعَاذَ بن مَاعِصٍ، أو عَائِذَ بن مَاعِصِ بن قَيْسِ بن خَلْدَةَ، وكان ثامناً، وبعض الناس يُعَدُّ سَلَمَةَ بنَ عمرو بن الأَكْوَعِ أَحَدَ الثَّمَانِيَةِ، وَيَطْرُحُ أَسْبَدَ بنَ طَهْيِرٍ أَخَا بني حارثة، واللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كان، ولم يَكُنْ سَلَمَةُ يومئذ فارساً، قد كان أَوَّلَ مَنْ لَجَحَ بِالْقَوْمِ على رجليه، فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا.

محرز بن نضلة يلحق بالقوم فيقتلونه

قال ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي عاصم بن عُمَرَ بنِ قتادة أَنَّ أَوَّلَ فارسٍ لَحِقَ بِالْقَوْمِ مُحْرِزُ بن نَضَلَةَ أخو بني أسد بن خَزِيمَةَ، وكان يقال لمُحْرِزٍ: الأَخْرَمُ، ويقال له: قُمَيْرٌ، وأن الفَرَعَ لما كان جالاً فرساً لمحمود بن مسلمة في الحائط - حين سمع صاهلة الخيل - وكان فرساً صَيماً^(١) جاماً، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل - حين رأينَ الفرسَ يَجُولُ في الحائطِ بِجِدْعٍ نخلٍ هو مربوطٌ فيه -: يا قُمَيْرُ، هَلْ لَكَ في أَنْ تَرَكَبَ هَذَا الْفَرَسَ؟ فإنه كما تَرَى، ثم تَلَحَّقَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وبالمسلمين؟! قال: نعم، فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ، فخرج عليه، فلم يَلْبَثْ أَنْ بَدَأَ الخيلَ^(٢) بِجَمَامِهِ^(٣) حتى أدرك القومَ فَوَقَفَ لهم بين أيديهم، ثم قال: قِفُوا يَا مَعْشَرَ بني اللُّكَيْعَةِ^(٤) حتى يلحق بكم من وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار، قال: وَحَمَلَ عليه رَجُلٌ منهم فَقَتَلَهُ، وَجَالَ الْفَرَسُ، فلم يُقَدَّرْ عليه حتى وَقَفَ على أَرِيَّةٍ^(٥) في بني عبد الأشهل، فلم يُقْتَلْ من المسلمين غيره [ب ٧٨٥].

[٧٨٥ ب] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١٨٦/٤ - ١٨٨) من طريق ابن إسحاق به.

(١) الْفَرَسُ الصَّيْعُ: هو الذي يَخْدُمُهُ أهله ويقومون عليه.

(٢) بَدَأَ الخيلَ، أي: سَبَقَهَا.

(٣) بِجَمَامِهِ، أي: بِشَاطِئِهِ.

(٤) اللُّكَيْعَةُ: اللثيمة.

(٥) الأري: الخيل الذي تُشَدُّ به الدابة وقد يُسَمَّى الموضِع الذي تقف فيه الدابة أرياً أيضاً.

قال ابن هشام: وَقْتَلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ مُحَرِّزٍ وَقَاصُ بْنُ مُجَزَّرِ الْمُدَلِجِيِّ؛ فيما ذَكَرَ غير واحد من أهل العلم [٧٨٦].

قال ابن إسحاق: وكان اسم فرس محمود ذات اللِّمَّة:

قال ابن هشام: وكان اسم فرس سعد بن زيد لاحقاً، واسمُ فَرَسِ المقدادِ بَعْرَجَةَ، ويقال: سَبْحَةُ، واسم فرس عُكَّاشَةَ بْنِ مَخْصَنٍ: ذو اللِّمَّة، واسم فَرَسِ أَبِي قتادة حَزْرَةَ، وفَرَسِ عَبَّادِ بْنِ بِشْرِ لَمَاع، وفَرَسِ أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرِ مَسُون، وفَرَسِ أَبِي عَيَّاشِ جُلُوة.

قال ابن إسحاق: وحدثني بَعْضُ من لا أتهم، عن عبد الله بن كعب بن مالك، أن مجزراً إنما كان على فرس لعُكَّاشَةَ بْنِ مَخْصَنٍ يقال له: الجناح، فقتل محرز، واستلب الجناح، ولما تلاخمت الحنيلُ قتل أبو قتادة الحرث بن ربيعة أخو بني سلمة حبيب بن غسيئة بن حصين، وغشاه بردة ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين [٧٨٧].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: فإذا حبيب مسجى^(١) يزيد أبي قتادة، فاسترجع الناس^(٢)، وقالوا: قتل أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَةٌ لَتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ».

= وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧١/٤ - ١٧٢) عن ابن إسحاق.

وذكره أيضاً الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٩٥/٥ - ٩٩).

وينظر «تاريخ الطبري» (٥٩٦/٢ - ٦٠٢) ولهذا الحديث شاهد من حديث سلمة أخرجه البخاري (٢٣٣/٨) كتاب المغازي باب غزوة ذات الفرد حديث (٤١٩٤) ومسلم (١٤٣٣/٣ - ١٤٤١) كتاب الجهاد والسير: باب غزوة ذي قرد وغيرها حديث (١٨٠٦/١٣١) وأحمد (٤٦/٤، ٤٨) وابن سعد في «الطبقات» (٣٠٥/٤) والبيهقي في «الدلائل» (١٨٠/٤ - ١٨٣) من حديث سلمة بن الأكوع. وقد جمع روايات هذا الحديث الإمام الصالحي في «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٥/٩٥ - بتحقيقنا).

[٧٨٦] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧٢/٤).

[٧٨٧] إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق وإرسال عبد الله بن كعب.

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٦٠٣/٢) من طريق ابن إسحاق.

وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧٢/٤) عن ابن إسحاق.

(١) مُسَجَّى، أي: مُعَطَّى، يقال: سَجَيْتُ المَيْتَ: إِذَا عَطَيْتُ وَجْهَهُ بِقُزْبٍ، وَالبُرْدُ: ثَوْبٌ مِنْ ثِيَابِ اليَمَنِ.

(٢) فاسترجع الناس، أي: قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وأدرك عُكَّاشَةُ بن مِخْصِنٍ أُوْبَاراً وابنه عمرو بن أُوْبَارٍ، وهما على بعيرٍ واحدٍ،
فانظمهما بالرُّمُحِ، فقتلها جميعاً، واستنقذوا بعضَ اللُّقَاخِ [٧٨٨].

وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرْدٍ، وتلاحقَ به النَّاسُ، فنزل رسولُ
الله ﷺ، وأقام عليه يوماً وليلةً، وقال له سَلَمَةُ بن الأَكْوَعِ: يا رسولَ اللهِ، لو سَرَّخْتَنِي في
مائة رجلٍ لاستنقذتُ بقيةَ السَّرْحِ، وأخذتُ بِأَعْتاقِ القومِ، فقال رسولُ الله ﷺ - فيما بلغني
-: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُعْبَقُونَ»^(١) فِي عَطْفَانٍ فَقَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةٍ رَجُلٍ
جَرُوراً، وأقاموا عليها، ثم رجع رسولُ الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة [٧٨٩].

انفلات المرأة الغفارية

وأقبلت امرأةُ الغفاريِّ على ناقةٍ من إبلِ رسولِ الله ﷺ حَتَّى قَدِمَتْ عليه، فأخبرته
الخَبِيرَ، فلما فَرَعَتْ قالت: يا رسولَ اللهِ، إِنِّي قد نَذَرْتُ لِيَّ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّانِي اللهُ عَلَيْهَا،
قال: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثم قال: «بِئْسَ مَا جَرَّيْتَهَا أَنْ حَمَلَكَ اللهُ عَلَيْهَا وَنَجَّكَ بِهَا، ثُمَّ
تَنْحَرِيهَا؛ إِنَّهُ لَا تَنْذَرُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيْمَا لَا تَمْلِكِينَ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي، فَارْجِعِي،
إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكََةِ اللهِ» والحديثُ في امرأةِ الغفاريِّ وما قالتُ وما قال لها رسولُ الله ﷺ
عن أبي الزبير المكيِّ، عن الحسن بن أبي الحسن البصريِّ [٧٩٠].

[٧٨٨] تقدم تخريجه.

[٧٨٩] تقدم وينظر تخريج حديث سلمة بن الأكوع.

[٧٩٠] أخرجه أحمد (٤٢٩/٦، ٤٣٠، ٤٣٢) ومسلم (١٢٦٢/٣): كتاب النذر، باب لا وفاء لنذر في
معصية الله، حديث (١٦٤١/٨) وأبو داود (٦٠٩/٣ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢) كتاب الإيمان والنذور
- باب في النذر فيما لا يملك - حديث (٣٣١٦) والترمذي (٤٠/٣، ٤٢): كتاب النذر والإيمان -
باب أن لا نذر في معصية - حديث (١٥٦٢) وباب لا نذر فيما لا يملك ابن آدم - حديث (١٥٦٦)
والنسائي (١٩/٧) كتاب الإيمان والنذور باب النذر فيما لا يملك، وابن ماجه (٦٨٦/١): كتاب
الكفارات - باب النذر في المعصية - حديث (٢١٢٤) والبيهقي (٧٥/١٠) كتاب النذور - باب ما
يوفى به من النذر وما لا يوفى -

ولفظ الترمذي والنسائي وابن ماجه مختصراً بذكر المرفوع من قوله ﷺ.

(١) لَيُعْبَقُونَ، أي: يُسْمَوْنَ اللَّبْنَ بِالْعَيْشِيِّ، يقال: صَبَحْتُ الرَّجُلَ: إِذَا سَقَيْتُهُ فِي الصُّبْحِ، وَعَبَقْتُهُ: إِذَا
سَقَيْتُهُ بِالْعَيْشِيِّ، ومنه: الصُّبُوحُ وَالْعَبُوقُ.

قصيدة لحسان بن ثابت في يوم ذي قرد

وكان مما قيل من الشعر في يوم ذي قرد قول حسان بن ثابت [من الكامل]:

- لَوْلَا الَّذِي لَأَقْتُ وَمَسَّ نُسُورَهَا
لَلْقَيْتُكُمْ يَحْمِلُنْ كُلُّ مَدْجِجٍ
وَلَسَرُّ أَوْلَادِ اللَّقِيْطَةِ أَنَّنَا
كُنَّا ثَمَانِيَّةً وَكَانُوا جَحْفَلًا
كُنَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
كَلًّا وَرَبَّ الرَّاqِصَاتِ إِلَى مِنَى
حَتَّى نُبِيلَ الْحَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ
زَهْرًا بِكُلِّ مُقْلَصٍ وَطَيْرَةٍ
أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَوَلَاخَ مُثُونِهَا
فَكَذَلِكَ إِنْ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ
وَسَيُوفُنَا بِيضَ الْحَدَائِدِ تَجْتَلِي
أَخَذَ إِلَهُ عَلَيْهِمُ لِحْرَامِهِ
- بِجَنُوبِ سَايَةِ أَمْسٍ فِي الثَّقْوَادِ^(١)
حَامِي الْحَقِيْقَةِ مَاجِدِ الْأَجْدَادِ^(٢)
سَلِمَ غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمِقْدَادِ^(٣)
لَجِبًا فَشَكُّوا بِالرَّمَاحِ بَدَادِ^(٤)
وَيُقَدِّمُونَ عِنَانَ كُلِّ جَوَادِ
يَقْطَعْنَ عُرْضَ مَخَارِمِ الْأَطْوَادِ^(٥)
وَتُتُوبُ بِالْمَلَكَاةِ وَالْأَوْلَادِ (٢٠٦/ب)^(٦)
فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ عَطْفَنَ وَوَادِ^(٧)
يَوْمَ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمَ طِرَادِ^(٨)
وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ عَوَادِ^(٩)
جُنُنَ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمُزْتَادِ^(١٠)
وَلِعِزَّةِ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ^(١١)

- (١) لولا الذي لاقت ومس نسورها: أضمر في لاقت ذكر الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر؛ لأن الكلام يدل عليها. والنسور هنا: ما يكون في باطن حافر الدابة مثل الحصى والنور، وساية: اسم موضع.
- (٢) المدجج: الكامل السلاح، ويقال مدجج.
- (٣) أولاد اللقيطة: هم الملتقطون الذين لا يعرف آباؤهم، والسلم والسلم بفتح السين وكسرهما: الصلح.
- (٤) الجحفل: الجيش الكثير، واللجب: الكثير الأصوات، وشكوا، أي: طعنوا. وبداد: هو فعال من التبدد.
- (٥) الراقصات هنا: الإبل، والرقص والرقصان: ضرب من مشيها. والمخارم: جمع مخرم وهو ما بين الجبلين، والأطواد: الجبال المرتفعة.
- (٦) حتى نبيل الخيل، هو من لفظ البول أي: نجعلها تبول، والعرصات: جمع عرصة وهي وسط الدار. وتتوب، أي: تزجع، والملكات: النساء اللاتي أمليكن.
- (٧) الزهوء بالراء: مشي في سكون. ومقْلص، أي: مشمر، وطيرة: فرس وثابة سريعة، والمعترك: موضع الحرب.
- (٨) دوابرها: أواخرها، ولاخ معناه: غير وأضعف، ومثونها: ظهورها، والطراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضاً.
- (٩) ملبونة، أي: تشقى اللبن، ومشعلة أي: موقدة.
- (١٠) تجتلي، أي: تقطع، والجتن، جمع جثة وهي السلاح، والمزتاد: الطالب للحرب هنا.
- (١١) الأسداد: جمع سد، وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه.

كَانُوا بِدَارِ نَاعِمِينَ فَبُدُّوا أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجُوهَ عِبَادِ [٧٩١]»^(١)

سعد بن زيد وحسان بن ثابت

قال ابن هشام: فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد، وحلف ألا يكلمه أبداً، قال: أنطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد، فاعتذر إليه حسان، وقال: والله ما ذلك أزدت، ولكن الروي وافق اسم المقداد، وقال أبياتا يرضي بها سعداً [من الرجز]:
إِذَا أَرَزْتُمْ الْأَشْدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا عَنَاءٍ فَعَلَيْنِكُمْ سَعْدَا
سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ لَا يُهْدُ هَدَاً^(٢)

فلم يقبل منه سعد، ولم يغب شيئاً [٧٩٢].

كلمة أخرى لحسان بن ثابت في يوم ذي قرد

وقال حسان بن ثابت في يوم ذي قرد [من المتقارب]:

أَظُنُّ عَيْنِي إِذْ زَارَهَا فَأَكْذِبَتْ مَا كُنْتَ صَدَقْتَهُ
فَعِغْتِ الْمَدِينَةَ إِذْ زُرْتَهَا فَوَلَّوْا سِرَاعاً كَشَدُّ الثُّعَامِ
أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ رَسُولٌ نَصَدَّقُ مَا جَاءَهُ
بِأَنْ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورًا؟^(٣) وَقُلْتُمْ: سَنَعْتُمْ أَمْرًا كَبِيرًا
وَأَنْسَتِ لِلْأَشْدِ فِيهَا زَيْبًا^(٤) وَلَمْ يَكْشِفُوا عَن مَلِطٍ حَصِيرًا^(٥)
لِكِ أَحْيَبٍ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا وَيَتْلُو كِتَابًا مُضِيئًا مُنِيرًا [٧٩٣]»^(٦)

[٧٩١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧٦/٤ - ١٧٧) والصاحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٠٤/٥).

[٧٩٢] ذكره الصاحي في «سبل الهدى والرشاد» (١٠٤/٥).

[٧٩٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧٧/٤).

(١) ذو قرد: اسم موضع فيه ماء. وجوه عباد، أراد: وجوه عبيد. وينظر ديوانه ص (٣٢٧)، والبداية والنهاية (١٧٦/٤، ١٧٧).

(٢) ينظر البداية والنهاية (١٧٧/٤).

(٣) أظن عيني إذ زارها، يعني: المدينة فأضمرها للعلم بها، وإن لم يتقدم لها ذكر.

(٤) عفت، معناه: كرهت، يقال: عاف الشيء يعافه: إذا كرهه. وأنست، أي: أحسنت ووجدت، والزبير: من أصوات الأسود.

(٥) الشد الجري، والمالط بالطاء المهملة: اللاصق بالأرض هنا، والحصير: وجه الأرض هنا.

(٦) ينظر ديوانه ص (٣٨٤)، البداية والنهاية (١٧٧/٤).

قصيدة لكعب بن مالك في يوم ذي قرد

وقال كعب بن مالك في يوم ذي قرد للفوارس [من الطويل]:

أَتْخَسَبُ أَوْلَادَ اللَّقِيْطَةِ أَنَا عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ؟
وَأَنَا أَنَا لَا تَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً وَلَا تُنْفِي عِنْدَ الرَّمَاكِ الْمَدَاعِيسِ^(١)
وَأَنَا لَتُنْقِرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الدُّرَى وَتَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلُخِ الْمُتَشَاوِسِ^(٢)
تَرُدُّ كَمَاةَ الْمُغْلَمِينَ إِذَا انْتَحَرُوا بِضَرْبِ يُسْلِي نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِيسِ^(٣)
بِكُلِّ فِتْنَى حَامِي الْحَقِيْقَةِ مَا جِدَ كَرِيْمٍ كَسِرْحَانِ الْغَضَاةِ مُخَالِيسِ^(٤)
يَذُوْدُونَ عَنِ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ بِبَيْضِ تَقْدُ الْهَامَ تَحْتَ الْقَوَائِسِ^(٥)
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَا لَقِيْتَهُمْ بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ^(٦)
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ قَاصِدُقُوا مَنْ لَقِيْتُمْ وَلَا تَكْتُمُوا أَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِيسِ
وَقُولُوا: زَلَلْنَا عَنِ مَخَالِبِ خَادِرٍ بِهِ وَحَرَ فِي الصُّدْرِ مَا لَمْ يُمَارَسِ [٧٩٤]^(٧)

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «وَأَنَا لَتُنْقِرِي الضَّيْفَ» أبو زيد.

كلمة لشداد بن عارض الجشمي في يوم ذي قرد

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمي في يوم ذي قرد لِعَيْبَةَ بن حِضْنِ، وكان عَيْبَةُ بن حِضْنِ يُكْنَى بِأَبِي مَالِكِ [من المقارب]:

فَهَلَّا كَرَزْتَ أَبَا مَالِكٍ وَخَيْلُكَ مُذِبِرَةٌ تُقْتَلُ

[٧٩٤] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٧٧/٤) والصالح في «سبل الهدى والرشاد» (٥/١٠٥).

- (١) المداعيس هنا: المطاعين، واحدها مدعس، يقال: دَعَسَ بالرمح: إذا طعنه.
- (٢) القَمْعُ: جَمْعُ قَمْعَةٍ وهي أعلى سنام البعير، والدُّرَى: الأَسْبَعَةُ: والأَبْلُخُ بالخاء المعجمة: المُتَكَبِّرُ، والمُتَشَاوِسُ: الذي ينظر بمؤخر عينيه نظر المتكبر.
- (٣) انتحروا، أي: تكبروا، والمتقاعس: الذي لا يلبس ولا ينقاد.
- (٤) السرحان: الذئب، والغضاة: شجرة وجمعها غصص، ويقال: إن أخبت الذئب ذئاب الغصص.
- (٥) يذودون، أي: يمتعون ويذفعون، والتلاد: المال القديم. وتقْدُ، أي: تقطع، والقوائس: أعلى بيض الحديد، واجدها قوائس.
- (٦) التمارس: المضاربة في الحرب والمقاربة.
- (٧) خادِر، أي: أسد في جذره، والجذر: الأجمة، والرحر: الحفد، وهو بالحاء المهملة. وينظر سبل الهدى والرشاد (٥/١٠٥)، والبداية والنهاية (١٧٧/٤).

ذَكَرَتْ الْإِيَابَ إِلَى عَسْجِرٍ
وَضَمُنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَيْعَةٍ
إِذَا قَبِضْتَهُ إِلَيْكَ الشُّمَامَا
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَـ
عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوُدُوا
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ
فَبِعْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَامَا
وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعْدَ الْمَقْفَلِ^(١)
مَسَحَ الْقَضَاءِ إِذَا يُزْسَلُ^(٢)
لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمِرْجَلُ^(٣)
لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ^(٤)
طِرَادَ الْكُمَامَا إِذَا أَسْهَلُوا^(٥)
فِضَاحاً وَإِنْ يُطَرَدُوا يَنْزَلُوا^(٦)
مِ بِالْبَيْضِ أَخْلَصَهَا الصَّنِقْلُ [٧٩٥]^(٧)

عَزْوَةُ بَنِي الْمُضْطَلِقِ بِالْمُرَيْسِيِّعِ^(٨)، فِي شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا

[٧٩٥] ذكره الصالحى في «سبل الهدى والرشاد» (١٠٥/٥) عن ابن إسحاق.

- (١) الإياب: الرجوع، وَعَسْجِرٌ: موضع، والمَقْفَلُ: الرجوع أيضاً.
 - (٢) ذَا مَيْعَةٍ، أي: فرساً ذا نشاط، والمَسْحُ: الكثير الجري. والفضاء: المُسَح من الأرض.
 - (٣) جاش: تحرك وغلا، واضْطَرَمَّ: من رواه بالميم، فمعناه: التَّهَب في جزيه. ومن رواه: اضطرب بالباء، فهو معلوم. والمِرْجَلُ: القِدْرُ.
 - (٤) لَمْ يَنْظُرِ، أي: لم يَنْتَظِرْ.
 - (٥) الكُمَامَا: الشُّجَمَان، وأسْهَلُوا، أي: أخذوا في سهل الأرض.
 - (٦) الفِضَاحُ: المُفَاضِحَةُ.
 - (٧) أَخْلَصَهَا الصَّنِقْلُ، أي: أزال ما عليها من الصِّدَأ. وينظر سبل الهدى والرشاد (١٠٥/٥).
 - (٨) المُرَيْسِيِّع - بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتائيتين بينهما سين مهملة مكسورة وآخره عين مهملة - وهو ماء لبني خُزَاعَةَ بينه وبين الفُرْعَ مَسِيرَةٌ يوم؛ مأخوذ من قولهم: رَسِعَتْ عَيْنُ الرَّجُلِ؛ إِذَا دَمَعَتْ من فساد.
- وهي عَزْوَةُ المُرَيْسِيِّع، وسببها أن الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جُدَيْمَةَ بن كعب بن خُزَاعَةَ سَيِّدُ بَنِي المُضْطَلِقِ جمع لحرب رسول الله ﷺ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ من قومه ومن العرب، فتهَيَّأُوا للمسير إليه، وكانوا ينزلون ناحية الفُرْعَ، فبلغ خَبْرَهُم رسول الله، فبعث بُرَيْدَةَ - بضم الموحدة - ابن الحُصَيْبِ - بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين - الأَسْلَمِيَّ يُعَلِّمُ ذلك، واستأذن رسول الله ﷺ أن يقول، فأذن له، فخرج حتى ورد عليهم ماءهم، فوجد قوماً مغرورين قد تألبوا وجمعوا الجموعَ، فقالوا: مَنْ الرَّجُلُ؟ قال: رجل منكم قَدِمْتُ لَمَّا بَلَغَنِي عن جمعكم لهذا الرَّجُلِ، فأسير في قومي ومن أطاعني، فنكون يداً واحدة حتى نستأصله. قال الحارث بن أبي ضرار: فنحن على ذلك فَمَجَلُّ علينا، فقال بُرَيْدَةُ: أركب الآن فأتيتكم بجمع كفيف من قومي، فسروا بذلك منه، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم، فندب رسول الله ﷺ النَّاسَ، وأخبرهم خبر عدوهم، فأسرغ الناس الخروج. ينظر سبل الهدى والرشاد (٤/٣٤٤، ٣٥٥).